

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

أعمق الخطر

٣٩



رجل المستحيل • أعمق الخطر • ٣٩ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف



د. نيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليصة
للشباب
زاهية
بالأحداث
المثيرة

٣٩

التمن في مصر

وما يعادل دولارا
أمريكا في سائر
الدول العربية
والعالم

أعمق الخطر

- لماذا اشترك جهاز الشرطة مع المخابرات المصرية لأول مرة في عملية واحدة ؟
- ما المفاجأة التي واجهت (أدهم صبرى) في أثناء حربه مع ملك تجارة المخدرات في مصر ؟
- ترى أينجح (أدهم صبرى) في مهمته داخل مصر ، أم يهوى في أعماق الخطر ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : مهنتي القتل

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نيل فاروق

١ - يد واحدة ..

ارتسمت ابتسامة دبلوماسية عريضة على وجه رئيس الوزراء ، وهو ينهض لاستقبال مدير المخابرات العامة المصرية فى ترحاب ، وقاده إلى أريكة وثيرة فى الجانب الأيسر من مكتبه ، ومضت فترة وهما يتبادلان عبارات المجاملة والترحاب ، إلى أن اكتست ملامح رئيس الوزراء بالجدية ، وهو يقول فى اهتمام :

— لقد وجدت متعة كبيرة فى قراءة التقارير الخاصة بعملكم يا سيادة اللواء ، ومن المدهش أنها شديدة الإثارة ، كما لو كانت نوعاً من القصص الخيالى الحافل بالإثارة ، والذى تفوح منه دائماً رائحة الخطر ، صدقنى أنها تصلح لعدد لا حصر له من الأفلام السينمائية المثيرة ، وأراهنك أن أحداً لن يصدق أنها حقيقة .

ابتسم مدير المخابرات المصرية ابتسامة مجاملة ، لم تنجح فى إخفاء الضيق الذى أصابه من حديث رئيس الوزراء ، فبرغم أن الرجل يمثل أعلى سلطة حكومية ، إلا أن العادة جرت على

ألا يطلع على ملفات المخابرات سوى رجالها ، ورئيس الجمهورية ، ووزير الحرية فقط ، حرصًا على السرية الشديدة التي ترتبط دائمًا بأعمال المخابرات ، ولكن هذا الضيق لم يوقف تساؤله في قرارة نفسه ، عن سبب هذه المقدمة الطويلة ، واستدعاء رئيس الوزراء نفسه له لأول مرة ، ولم يطل تساؤله ؛ إذ قال رئيس الوزراء وهو يتناول ملفًا صغيرًا من جواره :

— ومن المصادفات الطريفة ، أنني قرأت أمس أيضًا بعض التقارير الواردة من وزارة الداخلية ، والخاصة بمكافحة المخدرات ، وراودتني حينئذ فكرة عملية للغاية .
حافظ مدير المخابرات على ابتسامته الهادئة ، برغم أنه قد فهم ما يرمى إليه رئيس الوزراء ، إلا أنه ظل صامتًا يستمع إليه وهو يستطرد قائلاً :

— هل تعلم يا عزيزي أن أصعب ما يواجه رجال مكافحة المخدرات ، هو العثور على الدليل القوي ، للإيقاع بواحد من كبار مهربي هذه السموم ؟
غمغم مدير المخابرات :
— هذا صحيح .

ابتسم رئيس الوزراء ، ثم عاد يردف :

— ربما لأن هؤلاء الكبار لا يعملون بأنفسهم إلا نادرًا ، ولديهم اتصالات قوية ببعض عمالقة تجارة المخدرات في أوروبا وآسيا ، كما أن ثرواتهم تقدر بالمليارات ، مما يتيح لهم صنع سياج من الأمن يقيهم الوقوع في أيدي رجال الشرطة .
ولوح بكفه في الهواء ، متابعًا في حماسة :
— تصور ما يمكن أن يحدث لو تحطم سياج الأمن هذا ؟ .. ستكون النتائج مذهلة لا ريب .

وازدادت ابتسامته اتساعًا وهو يواصل قائلاً :
— وليس هناك أفضل من جهاز المخابرات لتحطيم أشد السياج قوة ، ومناعة .

كان مدير المخابرات بحكم اعتياده المفاجآت يتوقع هذه النهاية ، فتنهد قائلاً :

— إن مكافحة المخدرات لم تدخل يومًا ضمن أعمال المخابرات ، يا سيدي رئيس الوزراء ، فمهمتنا هي حماية الوطن من أي عدوان خارجي ، و
أشاح رئيس الوزراء بذراعه ، وقال :

— دعنا من هذه الروتينيات يا عزيزي اللواء ، إن هدفنا جميعًا هو أمن وسلامة مصر ، وسنعمل كلنا يداً واحدة من أجل ذلك .

ثم فتح الملف الصغير وهو يقول :

— ثم من قال إنكم لا تحاربون مروّجى المخدرات ؟ لقد سبق لأحد رجالكم أن حطّم واحدة من إمبراطوريات السموم هذه ، في (اليونان) حسبما أظن ، إنه ذلك الرجل الذي تُضفون عليه في تقاريركم صفات ، تكاد تقترب من أبطال الأساطير (*) .

ابتسم مدير المخابرات وهو يقول :

— أنت تقصد العقيد (أدهم صبرى) يا سيّدى .

أوماً رئيس الوزراء برأسه ، قائلاً :

— هذا هو من أعنيه .

ثم اعتدل ، مستطرداً في اهتمام :

— لو كان كل ما تذكره تقاريركم صحيحاً ، فإن هذا الرجل درة نادرة ، لا مثيل لها في العالم أجمع ، إنه يساوى جيشاً كامل العتاد .

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات وهو يغمغم :

— هذا صحيح يا سيّدى .

نهض رئيس الوزراء ، وسار بضع خطوات في حجرة مكتبه ، ومدير المخابرات يتابعه ببصره في اهتمام ، إلى أن توقّف ، وقال في حماسة :

(*) راجع قصة (إمبراطورية السم) .. المغامرة رقم (١٥) .

— هذا هو الرجل الذي نحتاج إليه يا سيادة اللواء .

قال مدير المخابرات في صوت خافت :

— ولكن (أدهم صبرى) أكثر فائدة لنا في محاربة الجاسوسية يا سيّدى .

قطّب رئيس الوزراء حاجبيه ، وقال :

— وهل تظن انتشار تعاطى هذه السموم بين شبابنا أقل خطراً من جاسوس يسرق أسرارنا يا سيادة اللواء ؟ .. بالعكس .. إن الأسرار مهما بلغت خطورتها ، لا تلبث أن تفقد قيمتها مع مرور الزمن ، أما انهيار شبابنا تحت وطأة هذه السموم ، فهو الخراب الشامل ، ولن تقوم لنا نهضة أبداً ، مادامت هذه المخدرات تتسرّب إلى البلاد .

تتم مدير المخابرات ، وكأنه قد استسلم لمنطق رئيس الوزراء .

— هذا صحيح يا سيّدى .

ساد الصمت لحظة ، ثم قال رئيس الوزراء في لهجة حازمة :

— ثم إن خبرة العقيد (أدهم) ، في العمل خارج البلاد ، هي أحد أسباب اختياري له لهذه المهمة بالذات .

وصمت لحظة ، ثم عاد يستطرد :

٢ — اللقاء الأول ..

رفع (عصمت فوز) ، صاحب واحدة من كبرى شركات الاستيراد والتصدير في مصر عينيه ، يتأمل الشاب الوسيم ، ممشوق القوام ، عريض المنكبين ، الذي دخل إلى مكتبه في خطوات وقورة رصينة ، ونهض يضافحه في تساؤل ، فبادره الشاب بابتسامة جذابة ، زادت ملامحه وسامة ، وهو يقدم نفسه ، قائلاً :

— (أحمد صفوت) ، رجل أعمال ، مقيد بجداول المستوردين والمصدرين .

ابتسم (عصمت فوز) ، وقال وهو يشير إلى المقعد المقابل لمكتبه الأنيق :

— تفضل ياسيد (أحمد) ، لقد أسعدني لقاءك .
مضت لحظة من الصمت والهدوء ، وكلاهما يتأمل الآخر ، ويحاول استشفاف ما يدور في أعماقه ، قبل أن يبدأ (عصمت) الحديث ، قائلاً :

— إننا هذه المرة لن نكتفى بإيقاع ملوك المخدرات في الداخل ، بل سنتبع مصادرههم إلى الأعماق .. إننى أنوى تدمير أعماق الخطر نفسها هذه المرة أيها اللواء ، والرجل الوحيد القادر على ذلك هو رجلكم ، الذى تطلقون عليه لقب : (رجل المستحيل) .



— إنها المرة الأولى التي نلتقى فيها ياسيد (أحمد) ، ومعدرة
لأنها المرة الأولى التي أسمع فيها اسمك .

لم يكن (أحمد صفوت) هذا سوى بطلنا (أدهم صبرى) ،
الذى ابتسم فى غموض ، وقال :

— إننى لا أعمل كثيرًا فى مجال الاستيراد والتصدير ياسيد
(عصمت) ، ويمكنك أن تقول إننى لا أميل إلى التعقيدات
الروتينية فى هذا المجال .

عاد (عصمت) بمقعده إلى الوراء ، وأسند رأسه إلى قبضته
المضمومة ، وأخذ يتأمل ملاح (أدهم) بعين فاحصة مرتابة ،
ثم سأله فى هدوء :

— فم تعمل إذن ياسيد (أحمد) ؟

ازدادت ابتسامة (أدهم) غموضًا وهو يقول :

— فى تجارة مربحة ياسيد (عصمت) ، مربحة للغاية .

التقى حاجبا (عصمت) فى شك وحيرة ، وهم باللقاء
سؤال جال فى أعماقه ، لولا أن بادره (أدهم) مستطرذاً فى
جدية :

— هناك صفقة أريد استيرادها عن طريق مكتبك ياسيد

(عصمت) ، وستحصل على عمولة محترمة بالطبع .

ازداد اللقاء حاجبى (عصمت) وهو يسأله :
— أى نوع من الصفقات ؟



مط (أدهم) شففيه ، وقال فى لهجة توحى بأنه يخفى
شيئًا ما :

— مجرد علب مأكولات محفوظة .

عاد (عصمت) يسأله :

— أى نوع من المأكولات ؟

تردد (أدهم) لحظة ، أو هكذا بدا عليه ، قبل أن يقول :

— أسماك محفوظة ، أو

قاطعه (عصمت) ، قائلاً في صرامة :

— أو ماذا يا سيّد (أحمد) ؟

عاد التردد يبدو على وجه (أدهم) لحظة ، ثم ابتسم ابتسامة مرتبكة وهو يقول :

— إنها علب مأكولات محفوظة فحسب يا سيّد (عصمت) .

ظل (عصمت) يتفرّس في ملامحه لحظة أخرى ، ثم بدت على شفّته ابتسامة خيثة حيناً قال :

— يبدو أنني أقرب من الفهم يا سيّد (أحمد) .

ثم انحنى إلى الأمام ، وسأله :

— من أى بلد ستستورد صفقتك هذه يا سيّد (أحمد) ؟

أخذ (أدهم) ينقر بأصابعه على طرف المكتب بعض

الوقت ، ثم قال في صوت خافت :

— من (تركيا) ؟

اتسعت ابتسامة (عصمت) ، ونذت منه تهيدة قصيرة ،

ثم قال في لهجة أقرب إلى السخرية :

— وهل تصدر (تركيا) الأطعمة المحفوظة ؟

لو أن أعظم رجال المسرح حضر هذا اللقاء ، لالتفت أكفه

بالتصفيق لذلك الأداء الرائع من (أدهم) ، حينما تلقى هذا

السؤال بمزيد من الارتباك والتوتر ، وأخرج منديله يجفف عرقاً وهمياً من جبينه ، وابتسم ابتسامة عصبية وهو يقول :

— دعنا من هذه الأسئلة يا سيّد (عصمت) ، إنها توحى

لي بأننى أجلس أمام وكيل نيابة ، لا صاحب شركة استيراد وتصدير .

ضاقت عينا (عصمت) وهو يبتسم في سخرية ، قائلاً :

— ستأتى هذه الصفقة باسمى يا سيّد (أحمد) ، ولابد لي

من معرفة كل التفاصيل ، والتأكد من سلامتها تماماً .

نهض (أدهم) من مقعده فجأة ، واستند براحتيه إلى

سطح المكتب ، وانحنى بحيث أصبح وجهه على بعد سنتيمترات

قليلة من وجه (عصمت) ، وقال في عصبية :

— اسمع يا سيّد (عصمت) ، سأدفع مليون جنيه

مصرى ، مقابل استغلال اسم شركتك في استيراد هذه

الصفقة ، وأعتقد أن مثل هذا المبلغ كفيل بإيقاف هذا السيل

من الأسئلة .

رفع (عصمت) حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهتف في

سخرية :

— مليون جنيه دفعة واحدة؟! .. كم ستربح منها إذن ؟

ظهر الغضب على وجه (أدهم) ، وتظاهر بالرغبة في الانصراف وهو يقول في عصبية زائدة :

— هذا لا يعينك ياسيد (عصمت) ، ولقد سئمت هذا الأسلوب ، ولن أعدم شركة استيراد أخرى تقبل مثل هذه الصفقة .

ابتسم (عصمت) وهو ينهض في هدوء ، قائلاً :

— مهلاً ياسيد (أحمد) ، إننى لا أرفض عرضك .

استدار إليه (أدهم) ، وقد نجح في رسم اللفتة على ملامحه ، ولكن (عصمت) استطرد ، قائلاً :

— ولكننى أحتاج إلى بعض الوقت للتفكير ، هل يمكنك أن تترك لى عنوانك ورقم هاتفك ؟ .. سأتصل بك مساء اليوم .. فى الحادية عشرة على وجه الدقة .

انتزع (أدهم) فى عصبية ورقة صغيرة من أمام (عصمت) ، ثم أخرج من جيبه قلمًا ذهبيًا أنيقًا ، خطَّ به عنوانه ، ورقم هاتفه على الورقة ، وناولها إلى (عصمت) وهو يقول :

— فليكن ، ولكننى سأنتظر حتى الحادية عشرة فقط .

ابتسم (عصمت) وهو يقول :

— اتفقنا ياسيد (أحمد) ، أسعدنى لقاءك .

انصرف (أدهم) فورًا بخطوات واسعة ، وغادر مبنى الشركة إلى سيارة من نوع (المرسيدس) بيضاء أنيقة ، ولم يكده يستقر خلف عجلة القيادة ، ويدير المحرك ، حتى سأله (منى) التى تجلس إلى جواره :

— كيف سارت الأمور ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال وهو ينطلق بالسيارة :

— لقد ابتلع صاحبنا الطعم من اللقاء الأول ، ولن يلبث الخيط أن يلتف حول عنقه يا عزيزتى .

راقب (عصمت) من نافذة مكتبه بالدور الثالث ، سيارة (أدهم) وهى تبعد ، ثم غمغم فى ريبة :

— أية لعبة يلعبها هذا الرجل ؟

واستدار إلى جهاز الاتصال فوق مكتبه ، وضغط زر الأهر الجانبي ، وهو يقول فى اهتمام :

— احضر إلى مكاتبى فورًا يا (مجدى) .

ثم استدار يتأمل نهر النيل ، من نافذة مكتبه وهو يشعل سيجارًا فخماً ، وينفث دخانه فى شرود ، إلى أن سمع دقات منتظمة على باب المكتب ، فقال دون أن يستدير : ادخل .

فُتِحَ الباب دون أن يحدث صوتًا ، ودلف إلى الحجرة شاب
قوى البنيان ، عريض الفك ، له شارب كث ، تحرك في خطوات
هادئة إلى حيث يقف (عصمت) ، وسأله في اهتمام .

— ماذا تريد أيها الزعيم ؟

غمغم (عصمت) في لهجة تتم عن الضيق :

— إننا هنا في المكتب يا (مجدى) .

ابتسم (مجدى) ، وقال :

— حسنًا .. ماذا تريد يا سيادة المدير ؟

تجاهل (عصمت) رنة المزاح في صوت (مجدى) ، وقال

دون أن يدير وجهه إليه :

— هل رأيت ذلك الشاب الذى غادر مكتبى منذ قليل ؟

أجابه (مجدى) فى هدوء :

— نعم .. إنه يدعى (أحمد صفوت) حسبما أذكر .

قال (عصمت) :

— نعم .. لقد جاء يعرض استيراد صفقة باسم مكتبنا ،

مقابل مليون جنيه .

أطلق (مجدى) من بين شفثيه صفيًا ينم عن الدهشة ،

وهتف :

— مليون جنيه ١١٩ .. أية صفقة هذه ؟

أجابه (عصمت) فى هدوء :

— صفقة مخدرات .

ساد الصمت التام بعد عبارة (عصمت) ، حتى أن صوت

جهاز تكييف الهواء فى الحجرة بدا واضحًا للغاية ، واتسعت

عينا (مجدى) ، وتدلّت فكه السفلى فى دهشة ، ثم لم يلبث أن

مزق ستار الصمت بقوله :

— وكيف أمكنه أن يطلب ذلك ؟

هزّ (عصمت) كتفيه ، وقال :

— إنه لم يطلبه مباشرة ، ولكنه يحاول أن يجرى الصفقة دون

أن ندري عنها شيئًا .

هتف (مجدى) بمزيد من الدهشة :

— ماذا تعنى ؟

قص عليه (عصمت) الحوار ، الذى دار بينه وبين

(أدهم) بالتفصيل ، مؤيّدًا عباراته بوصف الانفعالات التى

بدت على وجه هذا الأخير ، إلى أن انتهى من حديثه ، فهتف

(مجدى) فى انفعال وتوتر :

— إنه يحاول الإيقاع بنا .. إنه واحد من رجال شرطة

مكافحة المخدرات .

مط (عصمت) شفّيته ، وقال دون أن يرفع عينيه عن
المشهد الخارجى :

— هذا واحد من الاحتمالات الموضوعية يا (مجدى) .

سأله (مجدى) فى دهشة :

— أى احتمالات ؟

صمت (عصمت) لحظة ، ثم قال :

— بعد انصراف (أحمد عصمت) هذا ، حاولت أن أبحث
عن تفسير مناسب ، لهذا العرض الذى يقدمه ، ولم أجد أمامى
سوى تفسيرات ثلاثة .

عاد إلى صمته لحظة أخرى ، ثم استطرد :

— إما أن يكون أحد رجال مكافحة المخدرات ، أو مهرب
مخدرات يحاول الحصول على الصيد دون مخاطرة ، أو مليونيرًا
ساذجًا .. وأنا أستبعد هذا الاحتمال الأخير تمامًا ، فلو أنه رجل
يقتحم عالم التجارة للمرة الأولى ، ما ارتبك وتوتر ، وكاد يسقط
مغشيًا عليه حينما بدأت أحاصره بالأسئلة .

زوى (مجدى) ما بين حاجبيه وهو يقول :

— أى الاحتمالين الآخرين أقرب إلى التصديق إذن ؟

أخذ (عصمت) يفكر فى صمت بعض الوقت ، ثم قال لى

هدوء .

— أعتقد أنه الاحتمال الثانى يا (مجدى)

سأله (مجدى) فى قلق :

— هل تميل إلى ذلك ؟

استدار إليه مبتسمًا فى ثقة وهو يقول :

— أنا لا أميل إلى شيء مطلقًا يا (مجدى) ، إننى أدرس كل

الاحتمالات ، ثم اضع رأيًا لا يقبل الشك ، وهذه المنزلة هى التى

أبعدت عنى الشبهات طويلًا ، وهى التى ساعدتني على صنع

أكبر إمبراطورية للمخدرات فى مصر ، وأنت تعلم أننى قد

وضعت من الاحتياطات ما يجعل تحطيم إمبراطوريتى مستحيلًا ..

هل تفهم ... مستحيلًا .



٣ — عمالقة الشر ..

انتهت (منى) من اعداد قدحين من الشاي ، وناولت أحدهما لـ (أدهم) ، ثم جلست على المقعد المقابل له في شرفة الشقة التي استأجرها حديثا ، ومضت فترة من الصمت وهما يرتشفان الشاي ، ويتطلعان إلى حديقة واسعة تطل عليها الشرفة ، ثم لم تستطع (منى) كتم القلق ، الذي ينهش فضولها ، فقالت فجأة :

— ماذا لو أن (عصمت) هذا عاملك كما لو كنت واحدا من رجال مكافحة المخدرات ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال في هدوء :

— إنه لن يفعل هذا يا عزيزتي .

سأله في عصبية :

— وكيف يمكنك أن تكون واثقا هكذا ؟

بدت ابتسامة (أدهم) غامضة وهو يقول :

— لأن المخبرات تتولى الأمر هذه المرة يا عزيزتي .

مطت شفيتها ، واستندت بظهرها إلى مسند المقعد ، وقالت دون أن تنجح في كتمان غضبها :

— أسلوبك هذا يجعلني أشك أحيانا في انتماي إلى المخبرات .

مال (أدهم) نحوها ، ورئت على كفها وهو يقول :

— لا داعي للغضب يا عزيزتي ، هل نسيت واحدا من أهم

المبادئ في عالم المخبرات ؟ ألا وهو أنه على كل فرد معرفة

ما يخصه فقط ، وأنه ليس هناك من داع لمعرفة الجزء الذي

لا يخصك ، لقد كان هذا أول مبدأ تعلمناه في مدرسة المخبرات .

تخضب وجه (منى) بحمرة الخجل وهي تقول :

— هذا صحيح ، ولكن ..

اعتدل (أدهم) في مقعده ، وقال :

— لا توجد كلمة (لكن) في قاموس المخبرات يا عزيزتي .

ثم ابتسم ، مستطرذا :

— وبرغم هذا فأنا مستعد لشرح الأمر لك ، فهذا يقلل من

توترك ، ويساعد على نجاح الخطة .

صمت لحظة مستجمعا أفكاره ، ثم قال :

— أنت تعلمين أن عملنا يعتمد ، في جزء كبير منه ، على

دراسة الشخصية التي نتعامل معها من كل النواحي ، والجزء

الأهم في هذه الدراسة ، هو الأسلوب النفسى ، الذى يتعامل به الخصم ، وفور تكليفنا هذه المهمة ، قام المتخصصون بدراسة شخصية (عصمت فوز) من كل جوانبها ، وانتهت الدراسة إلى أنه شخص ذكى للغاية ، شديد الحذر ، لا يتخذ قراره إلا بعد دراسة متأنية لكل الظروف والملابسات ، وبناء على هذه النتيجة حددنا أسلوب الهجوم ، الذى يثير شكوكه ، ويجزم الخبراء أنه بعد انصرافى سيبدأ دراسة الأمر ، ولن يجد أمامه سوى ثلاثة احتمالات ، إما أننى واحد من ضباط مكافحة المخدرات ، أو مهرب مثله أحاول استغلاله ، أو مبتدئ فى عالم التجارة ، وسبقوده ارتباكى المفعول ، ومحاولة إخفاء الأمر ، والمبلغ الضخم الذى أعرضه إلى استئجار واحد ، وهو أننى مهرب مثله ، وهنا يكون قد التقم طرف الخيط ، ولن يمضى وقت طويل حتى يتلعه كله .

انتهى (أدهم) من حديثه ، ولكن الدهشة لم تختف من نظرات (منى) بعض الوقت ، إلى أن هتفت فى مرح ، وفخر :
— يا إلهى !! إن لدينا عباقرة فى المخبرات .

غمغم (أدهم) :

— وفى كل المجالات يا عزيزتى ، ولا تنسى أن كل ما لدينا من معلومات يعود الفضل فيه إلى جهاز الشرطة ، إنهم عباقرة أيضًا .

لم يكد (أدهم) ينتهى من عبارته ، حتى ارتفع رنين جرس الباب ، والتقت نظرات (منى) و (أدهم) ، ثم قال هذا الأخير :

— إنه صديقنا (عصمت) ولا شك .

تمت (منى) :

— ولكنها لم تعد التاسعة بعد .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو ينهض إلى الباب :

— هذا هو أسلوبه يا عزيزتى .

تظاهر (أدهم) بالدهشة البالغة ، حينما فتح الباب وطالعه وجهها (عصمت) و (مجدى) ، فصاح :

— يا إلهى !! إنها ليست الحادية عشرة بعد .

تقدم الاثنان إلى الداخل دون إذن ، وأخذ (مجدى) يتأمل أثاث الشقة الفاخر ، على حين قال (عصمت) :

— لقد أردنا مفاجأتك يا عزيزى (أحمد) ، ثم إننى أودّ التحدث معك بعض الوقت عن تلك الصفقة و

وفجأة بتر (عصمت) عبارته ، والتقى حاجباه في مزيج
من الدهشة والغضب ، عندما وقعت عيناه على (منى) ، التي
عبرت من الشرفة إلى الداخل ، ووقفت تتأمل الزائرين في فضول
وتساؤل ، ثم هتف (مجدى) :

— آه .. هل هي صديقتك يا سيد (أحمد) ؟ يبدو أننا قد
حضرنا في وقت غير مناسب بالفعل .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يقدمها إليهما :
— إنها شريكتى الآنسة (مها توحيد) ، وهى تملك نصف
المال اللازم للعملية .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على شفתי (مجدى) ، وهو يلتقط
أنامل (منى) ، وينحنى ليقبلها فى رقة مصطنعة ، قائلاً :
— أسعدنى لقاءك يا آنستى ، وأقدم نفسى ، (مجدى
منصور) ، السكرتير الأول للسيد (عصمت) ، وذراعه
اليمنى فى كل ما يقوم به من عمليات .

قدم (عصمت) نفسه لـ (منى) بأسلوب مقتضب ،
خال من الذوق ، ثم قال فى خشونة :

— لماذا استأجرت شقة مفروشة يا سيد (أحمد) ؟
رفع (أدهم) حاجبيه ، متظاهراً بالدهشة ، وغمغم :

— كيف عرفت هذا يا سيد (عصمت) ؟

ابتسم (عصمت) ابتسامة تفيض بالغرور ، والدهاء وهو
يقول :

— إننى أعرف الكثير يا سيد (أحمد) ، أكثر مما تظن .
عقد (أدهم) حاجبيه ، فى غضب مصطنع وهو يقول :
— هل عدت إلى أسلوبك البوليسى هذا ؟ .. اسمع يا سيد
(عصمت) ، إننى أكره من يدسُّون أنوفهم فيما لا يعنيههم ،
وإذا لم تكن صفقتى تروقك ، فما عليك إلا رفضها ، وسأجد
من يقبلها .

تبادل (عصمت) ، و (مجدى) ابتسامات ساخرة ، ثم
جلس (عصمت) على أقرب مقعد إليه ، ووضع إحدى ساقيه
فوق الأخرى بأسلوب لفظ ، ثم أشعل واحداً من سيجاره
الفاخر ، وتأمل ملامح (أدهم) ، و (منى) بأسلوب استفزازى ،
دفع (أدهم) إلى أن يقول غاضباً :

— قلت لك إننى لا أحب أسلوبك هذا ؟

اعتدل (عصمت) فجأة ، وقال :

— سيكون عليك أن تعتاده يا سيد (أحمد) ، أم أنك
تفضل اسمك الحقيقى .. (أدهم صبرى) .

٤ — المواجهة ..

هبط قلب (منى) بين قدميها ، وارتجف في قوة ، حينما نطق
(عصمت) باسم (أدهم صبرى) ، على حين اكتفى
(أدهم) بأن زوى ما بين حاجبيه ، وهو يسأله في هدوء :

— كيف توصلت إلى ذلك ؟

أطلق (مجدى) ضحكة ساخرة ، على حين عاد
(عصمت) بمقعده إلى الوراء ، وقال في فخر وهو ينفث دخان
سيجاره :

— لم يكن هذا بالأمر العسير يا عزيزى (أدهم) ، لقد
بحثنا عن اسم (أحمد صفوت) في سجلات المستوردين
والمصدرين ، ووجدناه بالفعل ، ولكن تحرياتنا عن (أحمد
صفوت) هذا فاجأتنا بأنه في الخمسين من عمره ، متزوج وله
ثلاثة أولاد ، وبنت واحدة ، ويقيم في عنوان مخالف لما ذكرته ،
وهنا بدأنا تحرياتنا عنك ، وكانت البداية من هنا ، من المنزل
الذى تقيم فيه ، فوجدنا أنه مستأجر كشقة مفروشة ، ولما كان

نظام إيجار الشقق المفروشة في مصر يجبر المؤجر على الاطلاع على
بيانات البطاقة الشخصية للمستأجر ، فقد اضطررت إلى تقديم
بطاقتك الشخصية ، وهى تحمل اسم (أدهم صبرى) ، هل
رأيت كم كان الأمر نهلاً ؟

برع (أدهم) هذه المرة أيضاً في التعامل التوتر والقلق ،
وقال فى عصية مصطنعة :

— ولم كل هذه التحريات يا سيد (عصمت) ؟ كان
يمكنك أن تكتفى برفض الصفقة .

ابتسم (عصمت) فى دهاء وهو يقول :

— هذا صحيح ، ولكنى أردت أن أريك ما يمكن أن
يوصل إليه رجال الشرطة .

أجادت (منى) أيضاً دورها حينما شهقت ، وهتفت فى
جزع :

— الشرطة ؟

وتحرك (أدهم) بشكل ينم عن العصية وهو يقول :

— وما دخل الشرطة فى الصفقات التى نعقدتها يا سيد
(عصمت) ؟

برقت عينا (عصمت) ، ببريق خبيث وهو يقول :

— كيف هذا يا عزيزي (أدهم) ؟ .. إن الشرطة تتدخل دائماً في كل ما يتعلق بتهريب المخدرات .

صاح (أدهم) :

— المخدرات ١٢

وألقيت (منى) جسدها فوق أقرب مقعد بطريقة توحى بالانهيار ، ودفنت وجهها بين راحتيها وهي تهتف :

— يا إلهي !! يا إلهي !!

ابتسم (مجدى) و (عصمت) في سخرية ، وهتف (أدهم) وهو يبالغ في إظهار توتره وعصبيته :

— سيد (عصمت) ، إنها مجرد علب مأكولات محفوظة

و ...

قاطعه (عصمت) في خشونة :

— هذا ما قد يبدو ظاهرياً ، ولكنها من الداخل لن تحوى سوى المخدرات يا سيد (أدهم) ، أكبر صفقة مخدرات في تاريخ مصر ، ولا تسألنى كيف عرفت أنها أكبر صفقة مخدرات ، فهذا السؤال قد يسيء إلى ذكائك وذكائى معاً ، فالرجل الذى يدفع مليون جنيه دفعة واحدة عمولة ، لا ريب أنه يعمل في صفقة لا تقل عن عشرة ملايين ، ولن تقل أرباحها عن ضعف المبلغ .

ألقى (أدهم) جسده هو الآخر فوق مقعده ، وأخذ يحدق في وجه (عصمت) بعينين زائغتين ، ثم غمغم في صوت واهن :

— ماذا تريد يا سيد (عصمت) ؟

نهض (عصمت) من مقعده ، وقد شعر بسيطرته الكاملة على الموقف ، وقال :

— ماذا أريد ؟ .. يا له من سؤال !! أنت مهترّب مخدرات ساذج يا سيد (أدهم) ، من ذلك النوع الذى يسقط في أيدي الشرطة بعد أول عملية ، ولكنك في الوقت نفسه تملك عشرة ملايين جنيه ، وترغب في استثمارها في هذه التجارة المربحة ، ولكنك أسأت اختيار المصدر ، فصحيح أن (تركيا) هي أكبر سوق للمواد المخدرة ، إلا أن ذلك معروف للجميع ، ومن السهل تعقب أية عملية تأق من هناك ، كما أن أسلوب التهريب الذى حاولت اتباعه ساذج ، ومعرض لخطورة شديدة ، فأنت لم تحسب ما يمكن أن يحدث في أثناء اختبار صلاحية المأكولات المحفوظة الزائفة هذه ، في المنطقة الجمركية كالمعتاد .

قال (أدهم) في عصبية لا يرق إليها الشك :

— ماذا بعد هذه المقدمة الطويلة ؟

استدار إليه (عصمت) ، ونفث دخان سيجاره وهو يتسهم ، ثم قال في ليونة :

— سأتولى أنا إدارة الصفقة يا سيد (أدهم) ، ستعطينى
ملايينك العشرة ، وتحصل على أرباحك الكاملة ، مقابل خمسة
ملايين لى عمولة .

هتفت (منى) :

— خمسة ملايين ١٩

ثم انتقلت بعينها إلى (أدهم) ، وكأنها تسأله المشورة ،
فسأل (عصمت) :

— ومن يضمن ألا نخسر المبلغ كله يا سيد (عصمت) ؟

ابتسم (عصمت) ، وقال فى هدوء :

— لن نخسر شيئاً يا سيد (أدهم) ، إنك تعمل مع

مخترع .

ارتسمت دهشة بارعة على وجهى (أدهم) ،

و (منى) ، وهتف الأول :

— هل تعمل فى هذا المجال يا سيد (عصمت) ؟ يا لها من

مصادفة أن ألتق إليك أنت بالذات !!

ضحك (عصمت) فى فخر وهو يقول :

— ولكنى لا أعمل بهذا الأسلوب الساذج يا عزيزى

(أدهم) ، إن المصادر التى أحصل منها على صفقاتى ،

لا يمكن أن يرقى إليها الشك ، ووسيلة دخول المخدرات أيضاً
معقدة وخطيرة إلى حد قد يثير الدهول ، ولكنها ناجحة للغاية ،
لأنا أتعامل مع جهاز قوى للغاية .

قطب (أدهم) حاجبيه فى تساؤل حقيقى هذه المرة وهو

يغمغم :

— جهاز قوى ١٩

ازدادت ابتسامة (عصمت) فخراً ، وقال :

— نعم يا عزيزى (أدهم) ، إنك ستعجز عن استتاج

مصادرى ، ولكن يكفى أن أقول إنها مضمونة مائة لى المائة .

ساد الصمت لحظة ، ثم سأله (أدهم) :

— هل يمكننى الإشراف على العملية بنفسى ؟ أعنى ضمناً

للملايين العشرة .

تردد (عصمت) لحظة ، وزوى (مجدى) ما بين حاجبيه

فى شك ، ثم قال (عصمت) :

— ولِمَ لا ؟.. سأسمح لك بذلك ، على ألا تتدخل فيما

يحدث .

عاد (أدهم) يسأله :

— هل يمكننى معرفة مصادرك ، على سبيل الاطمئنان

فقط ؟

ابتسم (عصمت) وهو يمز رأسه ، قائلاً :
— مطلقاً يا سيّد (أدهم) ، هذا يخالف شروط الأمن التي
وضعتها .

قال (أدهم) بلهجة تنم عن العصية :
— هل تطلب مني المخاطرة بعشرة ملايين دفعة واحدة ، دون
أن يكون لي الحق في معرفة أى شيء ؟
نفث (عصمت) دخان سيجاره في هدوء ، ودلت ملامحه
على التفكير العميق لحظات ، قبل أن يقول :
— هذه هي شروطى يا سيّد (أدهم) ، ولكننى سأخبرك
بشيء واحد قد يبعث الطمأنينة في نفسك ، ويؤكد قوة الجهة
التي أتعامل معها ، يكفي أن تعلم أن البضاعة ستصل إلى هنا في
غواصة حربية من أحدث طراز .

٥ — صفقة الموت ..

انهماك مدير المخابرات المصرية في مطالعة ملف إحدى
العمليات الجديدة ، حتى أنه لم ينتبه في المرة الأولى إلى الطرقات
التي صدرت من باب مكتبه ، وحينما كرر الطارق طرقاته رفع
عينيه عن الملف في ضجر ، وقال :
— هلمّ يا منم بالباب .

تحرك الباب في هدوء ، ودخل إلى الحجرة شاب طويل القامة
نحيل نحولا شديداً ، وضع أمام مدير المخابرات ورقة مطوية وهو
يقول :

— لقد تلقينا رسالة هاتفية من العقيد (أدهم صبرى)
يا سيدى ، ولقد قام قسم الشفرة بترجمتها و ...
قاطعه مدير المخابرات ، قائلاً :

— اقرأ الرسالة يا (فوزى) :

قال (فوزى) دون أن يلتقط الرسالة المطوية :

— إنه يقول إن العملية قد اتخذت اتجاهاً جديداً ، وإنها قد
أصبحت تخص المخابرات بصورة خالصة ، وهو يطلب ...

تردد (فوزى) لحظة قبل أن يكمل عبارته ، فقال مدير المخابرات فى ضيق :

— حسنًا ، ماذا يطلب ؟

قال (فوزى) فى صوت خافت ، وكأنه يخشى غضبة رئيسه :
— إنه يطلب عشرة ملايين جنيه نقدًا .

قطب مدير المخابرات حاجبيه ، وغمغم :

— عشرة ملايين ؟! .. لقد كانت الخطة تعتمد على إنهاء

الموقف دون دفع المبلغ فعليًا .

ثم نهض من وراء مكتبه ، وسار فى الحجرة ، عاقدًا كفيه خلف ظهره كعادته كلما استغرق فى التفكير ، ثم استدار إلى (فوزى) ، وقال :

— حسنًا .. أرسلها له فورًا .

اتسعت عينا (فوزى) دهشةً ، وسقطت فكه السفلى عجبًا ، فقد كان من المعروف عن مدير المخابرات الحالى أنه شديد الصرامة فيما يتعلق بإنفاق المال العام ، وكثيرًا ما ناقش لساعات ضروريات إنفاق مبلغ لا يتعدى الصفرين ، وها هو ذا يوافق بلا تردد على دفع مبلغ يتلع ميزانية المخابرات العامة ، لذا فقد قال (فوزى) فى محاولة لتبرير الأمر :

— أعتقد أنه ما دامت هذه العملية مشتركة بيننا وبين وزارة الداخلية ، فمن المفروض أن يدفعوا نصف المبلغ .. اليس كذلك ؟

التقط مدير المخابرات الورقة المطوية ، وفضها دون أن يبدو عليه أنه قد سمع سؤال (فوزى) ، وانهمك فى قراءتها ، ثم غمغم فى دهشة :

— غواصة حربية ؟

عاد (فوزى) يسأله :

— سيدفع جهاز الشرطة نصف المبلغ يا سيدي ، اليس كذلك ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم قال وهو يشرذ بعصره بعيدًا :

— هل تعلم يا (فوزى) ؟ .. قبل نكسة يونيو عام ألف وتسعمائة وسبعة وستين ، كان هدف (إسرائيل) الرئيسى هو تحطيم الجبهة الداخلية لمصر ، وفى سبيل ذلك أنفقوا الكثير من الجهد والمال لتهريب أكبر قدر من المخدرات إلى داخل مصر ، فهذه السموم تحطم شبابنا معنويًا وجسديًا ، وتفقد هم الطموح والعزم ، ولقد كان هذا هو طريقهم الأول لهزيمتنا حينذاك ،

وحينما تنبها إلى ذلك ، وحاربنا أسلوبهم هذا ، لقنأهم درسًا قاسيًا في أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين .

زوى (فوزى) ما بين حاجيه في حيرة ، فلم يجد صلة واضحة بين سؤاله وحوار مدير المخابرات ، إلا أنه عاد يسأل في إصرار :

— هل تدفع الشرطة نصف المبلغ يا سيدى ؟

استدار إليه مدير المخابرات ، وقال :

— كلاً يا (فوزى) .. لم تعد هذه العملية تخص الشرطة ، لقد أصبحت خالصة للمخابرات ، وستنطق على عملياتنا بسخاء .

* * *

تألق بريق الشهرة في عيني (عصمت) حينما وضع (أدهم) أمامه الملايين العشرة ، وبرغم ثرائه الفاحش إلا أنه مدّ كفه يتحسسها في لهفة ، ثم عاد يسيطر على انفعالاته ، وإن بدت واضحة من الأسلوب العصبى الذى ينفث به دخان سيجاره ، وهو يقول :

— حسنا يا سيد (أدهم) .. لقد تلقيت رسالة من شركائى ، وستصل الصفقة في منتصف ليل الغد .

التقى حاجبا (أدهم) في حيرة ، فقد كان يعلم أن الرقابة التى تحيط بـ (عصمت فوزى) صارمة ، إلى درجة لا يمكنه معها التحدث إلى نفسه وهو يخلق ذقنه دون أن يسجل حديثه بدقة ، ولو أنه تلقى رسالة من شركائه لكان (أدهم) أول من يعلم ، وما دام لم يتلق هذه الرسالة التى يزعمها فهذا يعنى أمرين لا ثالث لهما ، إما أن الصفقة فى طريقها من قبل هذا الاتفاق ، أو أنها مجرد خدعة من (عصمت) لتقويه الأمور ، وكان رأى الثانى هو ما رجّحه (أدهم) ؛ لذا فقد قال :

— لقد اتفقنا على أن أراقب الخطوات كلها يا سيد (عصمت) .

ابتسم (عصمت) وهو يقول :

— لا تقلق يا سيد (أدهم) .. مستفعل .

ثم مال نحوه مستطرذا :

— ولكننا سنحتفل الليلة بالعقد الذى أبرمناه معاً ، وسيكون احتفالاً صغيراً ، ولكنه سيعجبك وشريكك كثيراً .

اشتم (أدهم) رائحة الخداع فى هذه الدعوة ، فسأله وهو يتظاهر باللامبالاة :

— وأين سيجرى هذا الاحتفال ؟

ابتسم (عصمت) في دهاء ، وقال :

— دع لي الحق في مفاجأة واحدة يا عزيزي (أدهم) ، وأنا واثق أنها ستعجبك .. ستعجبك جدًا .

أطلق (أدهم) صفير إعجاب مرحًا طويلًا حينما فتح باب شفته الجديدة ، ووقعت عيناه على (منى) في ثوبها البنفسجي الأنيق ، وقال ضاحكًا :

— يا إلهي !! إنك تبدين رائعة يا عزيزتي ، متغار منك ملكات جمال العالم لو وقعت عيونهن عليك في هذا الثوب .

احمر وجهها خجلًا ، وغمغمت بكلمات غير مفهومة وهي تبسم في سعادة ، وأرادت الهروب من الموقف ، فسألته :

— ألم تتوصل بعد إلى المكان الذي دعانا إليه (عصمت) ؟

هز كتفيه في لا مبالاة ، وقال :

— دعيه يصحبنا إلى المكان الذي يروق له .

سألته في قلق :

— وماذا لو أنه يعد لنا فخًا ؟

تألقت عيناه ببريق عابث ساخر وهو يقول :

— سيكون هذا من سوء حظه ، وحسن حظ المستشفى الذي يعالجه .

ابتسمت (منى) لعبارة (أدهم) ، وفي نفس اللحظة ارتفع زنين جرس الباب ، فنهض (أدهم) وهو يقول :

— يبدو أن سهرتنا ستبدأ يا عزيزتي .

فتح (أدهم) الباب ، فوجد أمامه (مجدى) في حلة أنيقة سوداء ، ولكن ذلك الانتفاخ الواضح أسفل سترته لم يخف على عين خبيرة كعين (أدهم صبرى) ، ولكنه تجاهل ذلك وهو يقول :

— مرحبًا يا سيد (مجدى) ، هل ستصطحبنا إلى الاحتفال ؟

أجابه (مجدى) في برود :

— السيارة تنتظر ، ولقد اقترب الموعد .

صحب (مجدى) (أدهم) و (منى) إلى السيارة ، التي قادها بنفسه عبر شوارع القاهرة دون تبادل كلمة واحدة ، إلى أن وصلت إلى بداية الطريق الصحراوي ، فسأله (أدهم) :

— عجبًا !! هل سنحتفل في قلب الصحراء ؟

ابتسم (مجدى) في خبث دون أن يجيب عن سؤال (أدهم) ، وزاد من سرعة سيارته ، مجتازًا عشرات الكيلومترات ،

إلى أن انحرف فجأة إلى (كافيتيريا) صغيرة وسط الطريق ، استقبله العاملون فيها بترحاب يؤكد معرفتهم السابقة له ، وصحب هو (أدهم) و (منى) إلى حجرة جانبية ، حيث سأله (أدهم) :

— هل سيجرى الاحتفال هنا ؟

أجابه في برود :

— كلاً يا سيد (أدهم) .. إنها إجراءات الأمن ، وأرجو أن تعاونانا على أن يقدم لنا كل منكما كل ما يرتديه من أشياء معدنية .

قالت (منى) في غضب :

— ماذا تريدون ؟

أجابها في برود كالثلج :

— نريد أن نتأكد من أنكما لا تحملان أجهزة تسجيل أو تتبع ، أو أيًا من هذه الأشياء .

قال (أدهم) :

— ألن يكف رئيسك عن اتباع هذه الأساليب البوليسية ؟

وفي سرعة ، انتزع (مجدى) المسدس الذى يخفيه أسفل سترته الأنيقة ، وصوبه إليهما وهو يقول فى صرامة :

— إجراءات الأمن لا تعرف المجاملة ، ستفدان الأوامر

أو أزين رأسيكما برصاص مسدسى .

٦ — لقاء مع الموت ..

شقت سيارة حمراء جديدة طريق القاهرة — الإسكندرية الصحراوى ، وبداخلها جلس (أدهم) و (منى) صامتين ، إلى أن قال (أدهم) محدثًا (مجدى) الذى يقود السيارة :

— لقد أفسدت السهرة بأسلوبك السخيف هذا .

ضحك (مجدى) فى استهتار وهو يقول :

— إنها أوامر السيد (عصمت) ، فهو لا يحب أن يتعقبه أحد ، ومن المفروض أن تثير إجراءات أمتنا اطمئنانك ، مادمت قد أصبحت شريكًا فى كل ما يحدث .

غمغمتم (منى) بعبارة ساخطة ، على حين قال (أدهم) :

— أنتم حذرون جدًا فى الواقع ، فتفتيش الأدوات المعدنية ، وتبديل السيارة فى منتصف الطريق ، وذلك الحادث المفتعل الذى يعوق من يتعقبكم ، كلها وسائل ذكية تؤمن لكم عدم كشف أمركم .

ابتسم (مجدى) فى فخر ، وقال :

— السيد (عصمت) ذكى للغاية .

انتهزت (منى) فرصة تفاخر (مجدى) ، وسأله :

— أين يقيم هذا الاحتفال ؟

أجاب فى بساطة :

— فى يـخـت صغير يقف على بعد ميل بحرى واحد من شاطئ

(أبى قير) .

زوى (أدهم) ما بين حاجبيه وهو يسأله :

— هل يملك السيد (عصمت) يـخـتاً ؟

ضحك وهو يحبه ، قائلاً :

— إنه أذكى من أن يفعل هذا ، فالـيـخـت مسجل باسم

رجل آخر لا تربطه به أدنى صلة أمام الجميع ، ولكنه فى الواقع

واحد من الرؤساء .

غمغمت (منى) فى دهشة :

— الرؤساء ١١ ؟

استعاد (مجدى) حذره وشراسته وهو يقول :

— إنك تتحدثين كثيراً يا أنسى ، وفى مهنتنا هذه يكون من

الأفضل أن يطبق الإنسان شفـتيه ، ويخمد فضوله ، حتى يظل

حيًا .

سأله (أدهم) فى غضب حقيقى :

— أهو تهديد ؟

أجابه فى برود :

— نعم .. إنه كذلك .

انطلق زورق بخارى صغير نحو اليـخـت الأنيق فى ظلام الليل ،



والتقطت عين (أدهم) الفاحصة ذلك الاسم الصغير المنقوش

على جانب اليـخـت ، قبل أن يصعد إليه بصحبة (مجدى)

و (منى) ، واستقبلهم (عصمت) فى حرارة وهو يرتدى حلة

أنيقة باهظة الثمن ، وقال فى منـ مصطنع :

— ما رأيكما في مفاجأتي هذه ؟

أجابه (أدهم) باسمًا :

— فكرة مبتكرة ولا شك .

وسأله (منى) :

— ألا يضايقك رجال خفر السواحل ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

— لقد حصلنا على تصريح بالصيد ، ولا يوجد ما يشتبهون

فيه .

ضحك (أدهم) وهو يقول :

— يبدو أنك تأخذ الحذر من كل نقطة يا سيد

(عصمت) .

لوح (عصمت) بكفه ، وقال في غرور :

— هذا هو سر التفوق والنجاح يا عزيزي (أدهم) .

ساد الصمت لحظة ، وكأن كلاً منهم لا يجد ما يقوله ، إلى

أن قالت (منى) :

— لست ألهج أية مظاهر تشير إلى وجود احتفال ما ، أهو

احتفال سرّي يا سيد (عصمت) ؟

برقت عينا (عصمت) وهو يقول :

— سنحتفل بوسيلة مبتكرة يا آنستي ، ولكنني أنتظر باقي
الضيوف :

غمغمت (منى) :

— باقي الضيوف ١٢

ولى تلك اللحظة هرع أحد الرجال القائمين على اليخت نحو

(عصمت) ، وهمس في أذنه يضع كلمات هامة ، فابتسم

(عصمت) ، والتفت إلى (أدهم) و (منى) قائلاً :

— لقد وصل ضيوفنا يا سادة .

حدّق (أدهم) و (منى) في الظلام السائد عند مؤخرة

اليخت ، ولما تلك الظلال السوداء التي تسلسل إليه ، ولم

تستطع (منى) كتم دهشتها وهي تهف :

— يا إلهي !! ضفادع بشرية ١١٢

أسرع (عصمت) نحو رجال الضفادع البشرية الثلاثة في

مؤخرة اليخت ، وصافحهم في لهفة ، ثم انهمك معهم في حوار

هامس ، على حين مال (أدهم) على أذن (منى) ، وهمس في

سخرية :

— تتأبني رغبة شديدة في تحويل (عصمت) لفرّار ، هذا إلى

ضفدع غير بشري يا عزيزي .

سأله (منى) همسا في توتر :

— من هؤلاء ؟

أجابها في هدوء :

— رسل الشر ، الذين أحضروا البضاعة المطلوبة .

سأله :

— وما جنسيتهم ؟

أجابها في سخرية :

— عجباً !!.. ألم تميزى تلك الملامح التى تجمع ما بين

السلالة الشرقية والغربية ، وتلك الأنوف المعقوفة والعيون

الضيقة و....

قاطعه (مجدى) :

— فم اتهامسان ؟

أجابه (أدهم) فى تهكم :

— هل تتضمن إجراءات الأمن التى تتبعونها منع الناس من

التحدث ؟

احتقن وجه (مجدى) ، وظهر الغضب فى ملامحه ، وهم

بالتفوه بواحد من ألفاظه الباردة السخيفة ، لولا أن ارتفع صوت

(عصمت) يقول :

— أين أنت ياسيد (أدهم) ؟.. هؤلاء السادة يريدون

رؤيتك وتعرفك .

كان (أدهم) يولي ظهره فى تلك اللحظة ، فلم يكـد

يستدير ليواجه رجال الضفادع البشرية الثلاثة ، حتى تراجع

أحدهم فى دعر ، كما لو كان قد رأى شبحاً ، وتسمّر الثانى فى

مكانه ، وقد اتسعت عيناه ذهولاً ، وتدلت فكه السفلى فى

بلاهة ، على حين صرخ الثالث فى توتر بالغ :

— أهذا هو الرجل الذى تقصده ؟.. إنه يدعى (أدهم

صبرى) ، أليس كذلك ؟

التقى حاجبا (منى) فى تساؤل ، وحذق (مجدى) فى

وجه (أدهم) بدهشة ، على حين ظهرت الحيرة على وجه

(عصمت) ، وابتسم (أدهم) ابتسامة ساخرة ، وغمغم

(عصمت) فى قلق :

— ها هو اسمه بالفعل ، ولكن ما الذى يعنيه لكم هذا

الاسم .

صاح رجل ثان من الضفادع البشرية :

— ربّاه !! لقد أخبرنا أنه قد لقي حتفه فى العملية السابقة (*) .

(*) راجع قصة (لعبة المخترفين) .. المغامرة رقم (٣٨) .

قال (أدهم) فى لهجة ساخرة أثارت دهشة الجميع :
— القط له دائماً سبعة أورااح أيها الأوغاد .

صاح (عصمت) فى حنق وتوتر :

— ماذا يحدث هنا ؟.. أريد أن أفهم .

استدار إليه قائد الضفادع البشرية ، وصاح غاضباً :

— أيها الغبى .. لقد خدعوك هذه المرة برغم كل
الاحتياطات .

شحب وجه (عصمت) وهو يقلب بصره بين (أدهم) ،

وقائد الضفادع البشرية ، قائلاً :

— ماذا تعنى يا مستر (مازيل) ؟

أشار (ليفى مازيل) إلى (أدهم) وصاح فى حنق :

— هذا الذى تنوى مشاركته فى صفقة مخدرات ضابط

مخابرات مصرى ، بل هو أخطر ضابط مخابرات فى العالم .. إنه

(أدهم صبرى) .

باسم

www.dvd4arab.com

٧ — صفقة مع الشيطان ..

لم يكذ (ليفى مازيل) يصرح بحقيقة (أدهم) حتى
ارتفعت سدسات البحارة الأربعة ، الذين يعملون على سطح
اليخت ، ومسدس (مجدى) فى وجهى (أدهم) و (منى) ،
على حين تدلت فك (عصمت) فى ذهول ، وصرخ فى غضب
جولى يمتزج بالدهشة :

— ضابط مخابرات ١٢ .. وما شأن المخابرات فى قضايا
المخدرات ؟

ابتسم (أدهم) فى سخرية ولا مبالاة وهو يعقد ساعديه
أمام صدره ، على حين هتف (ليفى) فى حنق :

— لابد أنهم قد كشفوا أننا نحن الذين نأتى إليك
بالمخدرات ، أراهن أنك ارتكبت خطأ غيباً .

احتقن وجه (عصمت) بالدماء وهو يقول :

— إننى لا أرتكب أية أخطاء .

أطلق (ليفى) ضحكة ساخرة عالية ، تفيض بالمرارة وهو

يقول :

— وماذا تسمى وصول هذا الشيطان المصرى إلى هنا ؟ ..

مجرد هفوة ١٢

انعقد لسان (عصمت) ، ولم يستطع النطق بكلمة واحدة ، على حين التفت (ليفى) إلى (أدهم) ، وقال فى شماته :

— إنك لم تتوقع أن نتقابل هذه الليلة ، كما لم تتوقع أن دولتنا هى مصدر المخدرات ؛ لذا فقد استخدمت اسمك الحقيقى دون حذر ، وأتيت إلى هنا بلا سلاح .

مط (أدهم) شفتيه ، وقال دون أن يفقد ابتسامته الساخرة :

— خطأ أبا الوغد ، صحيح أننى حينما بدأت العملية كنت أظن أننى أسعى خلف مهرب مخدرات ذكى ، ولكننى ، بعد أن كشفت اسمى الحقيقى ، علمت أنه يتعامل مع جهة أجنبية تمده بالمخدرات عن طريق قطعة من أسطولها البحرى ، ولما كانت دولتكم هى الوحيدة التى تستخدم الأسلوب المكيفيللى ، الغاية تبرر الوسيلة ، فلم يكن من الصعب استنتاج أنكم المصدر الرئيسى لهذه السموم فى مصر ، ولا ريب أنها واحدة من محاولاتكم لمنع تقدم الدول العربية فى الشرق الأوسط ، عن

طريق تدمير روح الطموح والعزم فى شبابها ، ولكنه لم يكن هناك مجال للتراجع فى الوقت نفسه ؛ لذا فقد بدلت الخطة .

حذق (ليفى) فى وجهه بدهشة ، وقال :

— بدلت الخطة ١١٢

هز (أدهم) كتفيه فى استهتار ، وقال :

— نعم ، لقد وجدت أن (عصمت) لم يعد مجرد تاجر مخدرات ، بل هو الآن جاسوس حقير يسىء إلى بلاده ، كما أن التخلص منه لم يعد يحتاج إلى أدلة ، وهنا قررت أن يكون هدفى هو الفوأصة .

عاد (ليفى) يكرر كالأبله :

— الفوأصة ١١٢

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، على حين اقترب منه (عصمت) ، وقال فى غضب :

— يالك من مغرور !! أتريد اصطيداً غواصة ١١٢

ثم التفت إلى (ليفى) ، وصاح :

— إننا لم نخسر كل شىء بعد يا مستر (مازيل) ، فأنت تعلم أنه ما من مخلوق يمكنه استنتاج مكاننا الحالى ، بعد كل إجراءات الأمن التى اتبعناها ، ولو أننا قتلنا هذا الرجل ، وزميلته ، و....

قاطعه (ليقي) في سخط :

— صه يا (عصمت) ، إنك لا تفهم شيئاً في عملنا هذا ،
إن مجرد انكشاف الأمر يعنى فشل العملية بأكملها ، ولن يمكننا
التعاون مرة أخرى ..

شحب وجهه (عصمت) لحظة ، ثم استدار إلى
(أدهم) ، وجذبه من مئزره صائحاً :

— إننا لن نحطم كل شيء من أجل رجل واحد ، خاصة وهو
لا يحمل سلاحاً .

تطلع (أدهم) بعينه الساخرتين إلى عيني (عصمت) ،
وقال :

— من قال هذا ؟ .. إنني أحمل سلاحاً يكفل لي الفوز .

تفحص (عصمت) وجه (أدهم) بمزيج من القلق
والدهشة ، ثم لم يلبث أن هتف وقد تملك منه العناد :

— أنت كاذب ، لقد فتشوك جيداً ، أبرز سلاحك لو أنك
تملكه حقاً .

ولى سرعة البرق ، انطلقت قبضة (أدهم) في لكمة ساحقة
تحطم فك (عصمت) ، وهو يقول :

— ها هو ذا .

القتال .. أى قتال تعتمد نتائجه على عدة عوامل ، وهى
القوة ، والجرأة ، والخبرة ، والمرونة ، وسرعة المبادرة
والاستجابة .. وبهذه العوامل يحصل (أدهم صبرى) على
المركز الأول بين رجال المخابرات في العالم أجمع ..

فلم تكد قبضته الفولاذية تحطم فك (عصمت) ، وقبل أن
يسقط هذا الأخير أرضاً ، تحرك (أدهم) في سرعة خرافية ،

ودفع (منى) يساراً ، ليعدها عن مرمى النيران ، على حين
مال هو يميناً ، ثم دار على عقبيه ، وركل المسدس الذى يمسك

به (مجدى) ، فأطاح به في الهواء ، وقفز يلتقطه في خفة
مذهلة ، وقبل أن تعود قدماه إلى الأرض أطلق أربع رصاصات

صائبة ، انطلقت كل منها إلى هدفها في طاعة عمياء ، ولم تكد
قدما (أدهم) تلمسان سطح اليخت حتى كان البحارة الأربعة

قد تجردوا من مسدساتهم ، التى أبطاحت بها رصاصاته إلى
أعماق البحر ، وتسمّر الجميع في ذهول عندما صوب

(أدهم) إليهم مسدسه ، قائلاً في سخرية :

— انتهت المعركة أيها السادة .

وفجأة قفز (مجدى) من خلف (أدهم) مطوّفاً إيّاه
بذراعيه ، وكانت الحركة مفاجئة حتى أن (أدهم) فقد

مسدسه ، الذى أسرع إليه (ليقى مازيل) ، محاولاً التقاطه ،
إلا أن (منى) أسرعت تركل المسدس ، وتلقى به فى البحر وهى
تقول :

— حذار من اللعب بالنار أيها الوغد ، فهو يؤدى إلى نتائج
مؤسفة ليلاً .

وفى نفس اللحظة تحركت قدم (أدهم) إلى الخلف تركل
ساق (مجدى) ، الذى جذب ذراعيه من شدة الألم ، فأسرع
(أدهم) يدير ذراعه اليمنى من فوق رأسه إلى ما خلف ظهره ،
ويقبض على ياقة سترة (مجدى) ، فى نفس الوقت الذى دفع
فيه كوعه الأيسر فى معدة هذا الأخير ، ثم مال إلى الأمام ، ورفع
(مجدى) بحركة بارعة من حركات (الجودو) ، ليلقى به أرضاً
بكل قوة ، وقبل أن يسرع البحارة لنجدة الرجل الثانى فى
إمبراطورية السموم جذبه (أدهم) من سترته ، وأجبره على
الوقوف على قدميه وهو يقول فى سخرية :

— لقد جلبت هذا لنفسك أيها الوغد ، فأنا أتوق إلى تهشيم
أنفك منذ رأيتك للمرة الأولى .

رفع (مجدى) ذراعيه فى ذعر ليحمى وجهه ، إلا أن قبضة
(أدهم) اندفعت بينهما ، لتهشم أنفه ، وتلقى به فى غيوبة طويلة .

قفز البحارة الأربعة نحو (أدهم) ، وعيونهم تنطق بالشر ،
على حين اندفع رجال الضفادع البشرية الثلاثة نحو (منى) ،
التي أثبتت أنها تستحق الانتماء إلى الخابرات المصرية ، عندما
قفزت إلى الخلف ، وركلت أحدهما فى معدته ، ثم مالت جانباً ،
ولكمت الثانى فى أنفه ، ولكن (ليقى مازيل) أسرع يطوق
عنقها بذراعيه ، ويضغطه فى قوة وهو يقول :

— لم يسعدنى أن أهشم عنق فتاة تنتمى إلى الخابرات
المصرية .

فى نفس اللحظة كان البحارة الأربعة ينقضون على (أدهم) ،
وهذا آخر ما يذكرونه فى الواقع ، فقد تلقى أولهم لكمة ساحقة
ألقت به إلى الجانب الآخر من اليخت ، وتحطم أنف الثانى
بلكمة ثانية ، وشج رأس الثالث حينما هوت مطرقة بشرية فوقها ،
وفقد الرابع خمساً من أسنانه إلى الأبد ، وانتهى القتال فيما
لا يزيد على ثانية واحدة ، والثفت (أدهم) إلى زميلته ، فى
محاولة للدفاع عنها ، ولكنه تسمّر فى مكانه حينما رأى عنقها بين
ذراعى (ليقى) ، وهى تحاول التخلص فى يأس ، وقد
احتبست أنفاسها ، وجحظت عيناها فى ألم ، وسمع (ليقى)
يقول فى وحشية :

— عليك أن تختار أيها الشيطان المصرى ، نحن أو زميلتك .
ظل (أدهم) صامتًا يراقب الموقف لحظة ، ثم ضاقت
عيناه ، وتراخت عضلاته وهو يقول :

— هناك اقتراح ثالث يا (ليلى) .
اختلف (ليلى) النظر إلى رفيقه اللذين نهضا في ألم ،
واطمأن قلبه بوجودهما إلى جواره ، فقال دون أن يخفف ضغط
ذراعه عن عنق (منى) :
— أى اقتراح هذا ؟

تألفت عينا (أدهم) ببريق ساخر وهو يقول :
— أن نعقد معًا صفقة .. صفقة قد تنقذ حياة الجميع .

٨ — الغواصة ..

تطلعت عيون الضفادع البشرية الثلاثة إلى (أدهم) في شك
وتساؤل ، ومرت فترة من الصمت ، لم يعد يسمع فيها سوى
صوت الأمواج التى ترتطم باليخت ، وتأوهات (منى) من
ضغط ذراع (ليلى) على عنقها ، إلى أن قال هذا الأخير في
صوت متحشرج من شدة الانفعال :

— أنت تعرض علينا صفقة أيها الشيطان .
بدت كلمات (أدهم) باردة كالثلج ، قاسية كالقولاذ
وهو يقول :

— إنك تهددنى بقتل زميلتى إذا ما حاولت قتالكم أيها
الوغد ، متصورًا أن هذا سيمنعنى من مهاجمةكم ، ولكنى أرى
الأمور من منظور آخر ، فهناك شاب قد يلقي حتفه إذا ما ثبت
وجودى على قيد الحياة^(*) ، وأنتم الثلاثة الدليل الوحيد على
بقائى حيًا ، ومصلحة الوطن كله تقتضى منعكم من إيصال هذا

(*) راجع قصة (لعبة المخترفين) .. المغامرة رقم (٣٨) .

لرؤسائكم ، وأنا لا أتنازل مطلقاً عما يعاوننى على رفعة هذا الوطن ، ومن هنا تجد أن الأمر يتخذ منعطفاً جديداً ، فلو أنكم استسلمتم فساكتفى بأسركم على قيد الحياة ، أما لو مستم شعرة واحدة من زميلتى ..

صمت (أدهم) لحظة واحدة قبل أن تتألق عيناه ببريق مخيف ، وهو يستطرد :

— سأمزقكم إرباً ، حتى أن أبرع الأطباء الشرعيين فى العالم لن ينجح فى تعرف بقاياكم .

كان البريق المنبعث من عينى (أدهم) رهيباً مخيفاً .. يتألق بالقوة والعزم ، حتى أنه أثار الرجفة فى قلوب الرجال الثلاثة ، وتراخت ذراع (ليقي) على الرغم منه من حول عنق (منى) ، والتقطت عين (أدهم) الفاحصة هذا التراخى ، وانتقل المشهد إلى عقل (أدهم) ، ثم إلى عضلاته ، واشتعلت سرعة استجابته المذهلة ، وتحرك ...

قفز (أدهم) فجأة ، وبدون سابق إنذار ، تحوّل جسده من حالة السكون إلى قمة الحركة فى جزء من أعشار الثانية ، وتحركت قدمه فى الهواء ببراعة منقطعة النظير ، لتعبر الفراغ الضئيل بين ذراع (ليقي) ووجهه ، وعنق (منى) ، فى دقة قد

تعجز عنها أجهزة التحكم الإلكترونية ، وارتطمت قدم (أدهم) بوجه (ليقي) ، وحطمت أنفه ، ودفعت به بعيداً بحيث أفلت منه (منى) ، التى سقطت تلهث من شدة الألم والانفعال ، على حين عادت قدما (أدهم) تستقرآن على سطح اليخت ، وانطلقت قبضتاه تحطمان فك (ليقي) ، وتغوصان فى معدته بتعاقب مذهل سريع ، أطلق بعده (ليقي) خواراً مزعجاً ، وسقط مجنحاً ، مضرّجاً بالدماء ، وتراجع الضفدعان البشريان الآخران فى رعب ، ولكن (أدهم) بادر أولهما بلكمة ساحقة فى صدره حطمت ضلوعه ، وجعلته يسقط جاحظ العينين ، يشهق فى قوة وألم حتى غاب عن الوعي ، أما الثانى فقد قفز إلى البحر محاولاً الهرب ، وبدون لحظة من الترددلقى (أدهم) نفسه خلف الضفدع البشرى ، وغاص كلاهما فى أعماق البحر .

لو أننا طبقنا القواعد العادية على مثل هذا الصراع ، لكان من الطبيعى أن ينتصر الضفدع البشرى ، فالغوص والصراع فى الأعماق هو حرفته ومهارته الأولى ، كما أنه يحمل فوق ظهره أسطوانة من الأكسوجين تمده بمزيد من الهواء ، الذى يسمح له بالبقاء فترة أطول تحت سطح الماء ، على حين يغوص خصمه معتمداً على رئتيه فقط ، ومرتبداً حلة سهرة كاملة لا تسمح له

بحرية الحركة تحت الماء ، ولكن العامل الذى يقلب كل هذه القواعد رأساً على عقب هو أن الخصم ليس رجلاً عادياً ، إنه (أدهم صبرى) ، الذى يحمل لقب (رجل المستحيل) .

لقد حاول الضفدع البشرى استغلال إمكاناته بالفعل ، فعمد إلى الغوص العميق ، واستغل الزعانف الصناعية فى قدميه للابتعاد بسرعة ، ولكنه أخطأ حيناً أولى إمكاناته كل هذه النقة ، وعندما لم ينتفت وراءه ؛ لذا فقد ارتجف جسده وسقط قلبه بين قدميه ، وانهارت ثقته دفعة واحدة حيناً قبض (أدهم) على ساقه بقبضة فولاذية ، ودار الضفدع البشرى حول نفسه وهو ينتزع خنجره من حزامه ، ولكن (أدهم) بادره بنزع خرطوم الأكسوجين من فمه ، وفقد الضفدع البشرى أهم مميزاتة فى اللحظة الأولى للقتال ، وفقد الثانية فى اللحظة التالية ، عندما قبض (أدهم) على معصمه ، وأجبره على ترك خنجره ، وهنا استسلم الضفدع البشرى على الفور ، وترك خصمه يدفعه إلى سطح الماء ، وقد أعجزه الرعب عن مقاومة الرجل الذى ترتجف له مخابرات دولته بأكملها .

صعد (أدهم) إلى سطح اليخت وهو يقبض على عنق أسيره ، ولم يكد يتطلع إلى السطح حتى رفع حاجبيه دهشة ،



ولكن (أدهم) بادره بنزع خرطوم الأكسوجين من فمه ، وفقد الضفدع البشرى أهم مميزاتة فى اللحظة الأولى للقتال ..

وانطلقت منه ضحكة مرحة ، فقد كانت (منى) منهمكة في
إحكام قيد (عصمت فوز) ، ولقد التفت إليه في بساطة
حينما سمعت ضحكته ، وابتسمت وهي تقول :

— مرحبًا يا سيادة العقيد .

سألها (أدهم) وهو يدفع أسيره أمامه :

— ألم يراودك القلق وأنا أطاردها هذا الوغد تحت سطح الماء
أيتها النقيب ؟

هزت كتفها وهي تقول في هدوء :

— لم يراودني أدنى شك في انتصارك ، وفضلت اتخاذ بعض
الإجراءات الضرورية حتى تعود منتصرًا .

ابتسم (أدهم) في حنان وهو يهمس :

— أنتقن في قدراتي إلى هذا الحد يا عزيزتي ؟

تضرج وجهها بحمرة وهي تهمس :

— ولم لا ؟.. ألسنت (رجل المستحيل) ؟

انتهى (أدهم) ، و (منى) من إحكام وثاق أسراهم ،
ونقلوهم إلى الكابينة الصغيرة داخل اليخت ، ثم جذب
(أدهم) الضفدع البشرى الذي احتفظ بوعيه ، ونظر في عينيه
مباشرة بنظرة ياردة وهو يقول :

— والآن أيها الوغد سيدور بيننا حديث طويل .

شحب وجه الرجل رعبًا ، وأسرع يقول :

— سأخبرك بكل شيء ، أنا أدعى (إيرل كوهين) ، وأهل

ربة ملازم أول بحيش الدفاع الأسر ...

قاطعه (أدهم) ، قائلاً في سخرية :

— دعنا من بياناتك الشخصية هذه ، فسيكون هناك

الكثير من الوقت لتقص قصة حياتك بالتفصيل على آذان الزملاء

في الإدارة ، أما الآن فأنا أريد أن أعرف كل شيء عن الغواصة .

اتسعت عينا الرجل ذهولاً وهو يقول :

— الغواصة ؟!

ابتسم (أدهم) ابتسامة مخيفة ، وقال :

— نعم أيها الوغد .. الغواصة .. فلقد استندت عشرة

ملايين جنيه من أموال دافعي الضرائب ، وأنا أنوى إعادة المبلغ

مع الفائدة .

وأطلت من عينيه نظرة عابثة وهو يردف :

— لذا فقد قررت إهداء غواصتكم إلى سلاحنا البحري ..

مع تحياتي .

٩ — الطريق إلى قلب العدو ..

أحكمت (منى) أسطوانة الأكسوجين خلف ظهرها ،
وتطلعت إلى (أدهم) ، الذى انهمك فى لف المسدس الذى
كان يخص (مجدى) بغلاف من النيلون ، وقالت :

— أمازلت تصر على إتيان هذا العمل الجنولى ؟

هز كتفيه فى استهتار وهو يثبت المسدس فى حزامه ، وقال :

— يمكننى الذهاب وحدى يا (منى) .

تهددت وهى تقول :

— سأصحبك حتى ولو قررت الذهاب إلى الجحيم ،
ولست أشك فى أننا يمكننا الاستيلاء على الفواصة ، بل إنك
تستطيع ذلك وحدك ، ولكننى أتساءل ، ألن يؤدي هذا إلى
أزمة دبلوماسية مثلاً .

مطّ شفتيه ، وقال وهو يثبت منظار الغوص فوق عينيه :

— لست أدري فى الواقع ، ولكننى لن أترك هؤلاء الأوغاد
يعودون بغواصتهم كما لو كانوا فى نزهة .

سألته فى قلق :

— ولكن رجال حرس السواحل لا يعلمون ما تتويبه ، وربما
تعاملوا معنا كمتسللين و ...

قاطعها قائلاً :

— هل أنت مستعدة ؟

تهددت فى يأس ، ثم قالت وهى تضع منظار الغوص فوق
عينها أيضاً :

— كما تأمر يا سيادة العقيد .

وبدون تبادل كلمة أخرى ، قفز الاثنان إلى أعماق البحر ،
وبدأ الطريق إلى قلب العدو .

مضت نصف ساعة من السباحة تحت سطح الماء ، حتى
كلت ذراعاً (منى) وهى تبذل أقصى قوة تملكها ، على حين
خفف (أدهم) من سرعته حتى يمكنها اللحاق به ، إلى أن لاح
من بعيد ضوء أحر باهت على عمق ثلاثين متراً تحت سطح
البحر ، فأشار إليها (أدهم) ، مستخدماً أسلوب الحوار تحت
سطح الماء ، ثم اتجه كلاهما نحو الضوء الأحر الباهت ، ولم تلبث
أن اتضحتهما معالم الفواصة الساكنة ، واقترب منها الاثنان حتى

تمكنا من قراءة الاسم العبرى على مقدمتها ، والرقم الواضح إلى جواره ، ثم تبعت (منى) (أدهم) إلى كوة صغيرة أعلى الفواصة ، ودق (أدهم) الكوة دقتين متواليتين ، ثم انتظر لحظة ، وعاد يدق ثلاث دقائق منفصلة ، وكانت هذه هى الإشارة السرية التى تم الاتفاق عليها ، كما اعترف الضفدع البشرى العدو ..

لم تمض لحظة حتى تحركت الكوة ، كاشفة حجرة معدنية صغيرة ، تسلك إليها (أدهم) ، وتبعته (منى) ، وعادت الكوة تغلق ، وبدأ الماء ينحسر من الحجرة الصغيرة لى ببطء ، حتى أصبح ارتفاعه لا يزيد على سنتيمترات قليلة ، وهنا تحرك باب جانبي صغير ، وبدأ قلب (منى) يدق فى عنف ، على حين ظل (أدهم) هادئا ، إلى أن ظهر وجه عريض لبحار يرتدى سترة زرقاء ، وقبعة بيضاء من ذلك النوع الذى يرتديه البحارة ، وكان صاحب الوجه العريض يتسم وهو يقول بلغة عبرانية :

— هل أتممتما الصفقة يا رجال ؟

ولكن ملامحه تجهمت فجأة حينما وقع بصره عليهما ، وهتف فى دعر :

— يا إلهى !! من أنتما ؟

جاءت إجابة (أدهم) على شكل لكمة ساحقة ، أصابت الوجه العريض ، وألقت صاحبه إلى الخارج ، بين خمسة من رفاقه ضخام الجثة ، مفرولى العضلات .

قفز (أدهم) خارج كايينة الغوص ، واندفعت قبضته اليمنى إلى فك أحد البحارة الخمسة ، ثم تفجرت اليسرى فى أنف الثانى ، وارتفعت قدم (أدهم) لتركل الثالث فى معدته ، ولكن

تلك الزعانف الواسعة المطاطية التى يرتديها (أدهم) ضمن زى الغوص ، والمياه التى لم تجف عنها بعد ، كان لهما مفعول مؤسف ، فقد انزلق (أدهم) حينما رفع قدمه بتلك الحركة الحادة ، ووجد نفسه يسقط على ظهره وسط آلات الفواصة ، وارتطم رأسه بجدار من الصلب ، ولكنه تماسك ، وحاول النهوض فى صعوبة ، إلا أن واحدا من البحارة ضخام الجثة قفز نحوه ، وركله فى ذقنه ، فعاد رأس (أدهم) يرتطم بجائط الصلب ، ليفقد وعيه فى الحال .

تسمرت (منى) فى مكانها فى ذهول ، وشعرت بالألم
يعتصر قلبها وهى تهتف باسم (أدهم) ، ثم اندفعت نحوه ،
وانحنت تحاول إنعاشه ، وهمُّ أحد البحارة بمهاجمتها ، لولا أن
أوقفه زميله ، قائلاً فى سخرية :

— مهلاً يا (إفرام) ، إنها مجرد امرأة ، ألم تلاحظ ذلك ؟
صوب البحارة مسدساتهم نحو (منى) ، وقال أحدهم فى
غضب وهو يحاول منع الدم المتدفق من بين أسنانه ، التى
حطمتها قبضة (أدهم) :

— فلنقتلها .. لا ريب أنهما قد قتلا رجالنا .

تقدم أحدهم نحو (أدهم) ، ونزع منظار الغوص من فوق
عينيه ، وتأمل فى ملامحه لحظة ، ثم هتف غير مصدق :

— يا إلهى !! لقد وقعنا على صيد ثمين يا رفاق .

ثم قفز إلى جهاز الاتصال الداخلى ، وصاح فى بوقه :

— هنا غرفة الغوص يا سيدى القبطان ، لقد وصل إلينا اثنان
من الضفادع البشرية ... كلاً إنهما ليسا من رجالنا .. إنهما رجل
وفتاة ، والرجل يعد أثن من الملايين العشرة التى كنا ننتظرها ..
إنه ذلك الشيطان المصرى المعروف باسم (أدهم صبرى) .

لم تكد تمضى لحظات على هذا الحديث ، حتى كان قبطان
الغواصة يهرع إلى غرفة الغوص بآدى الانفعال ، ووقف عشر
دقائق كاملة يحلّق فى وجه (أدهم) ، الذى لم يستعد وعيه
بعد ، ولى (منى) التى انحنت فوق جسد (أدهم) فى لوحة ،
تحاول إنعاشه ، وكأنها لا تدرى بوجودها بين هؤلاء الرجال ،
أو كأن ذلك لم يعد يعنىها ، ثم هتف القبطان :

— يا للشيطان !! إنه هو بالفعل ، ولكننى سمعت أنه قد
لقى حتفه و ...

وبتر عبارته فجأة ، ثم غمغم :

— إنه شيطان بالفعل .

سأله أحد البحارة :

— ماذا نفعل به يا سيدى القبطان ؟

القبطان : صامتاً يضع لحظات ، دون أن يرفع عينيه عن
الرجل الذى لم يثر ثغره عن ابتسامة وحشية وهو يقول :

— ماذا نفعل به ؟ .. سنعيده إلى مصر بالفعل .

ظهرت الدهشة على وجه البحارة الخمسة وهم يهتفون :

— نعيده إلى مصر !!

ازدادت ابتسامة القبطان وحشية وهو يقول :

— نعم يا رجال ، سعيده وزميلته إلى مصر ، داخل اثنين
من طوريدات الغواصة ، وستكون مفاجأة مذهلة للمصريين .
ثم انطلق يضحك في شراسة ، وارتسمت ابتسامات وحشية
متشفية على وجوه البحارة الخمسة ، على حين شحب وجه
(منى) حتى حاكى وجوه الموتى .



١٠ — الطوريد البشرى ..

أطلقت (منى) صرخة تموج باللوعة ، وألقت جسدها فوق
(أدهم) وهي تهتف :
— كلاً .. إنكم لن تقتلوه .. لن تقتلوه .

أطلق البحارة الخمسة ، وقبطانهم ضحكات ساخرة وهم
يتطلعون إلى ما تفعله (منى) وقلب أحدهم شفثيه ازدراءً ،
لذلك السلوك المفرق في العاطفية ، الذى اتخذته فتاة من
الخبابرات المصرية ، ولكن ضحكاتهم لم تلبث أن احتبست في
حلوقهم ، وارتعدت شفاة الرجل الذى شعر بالازدراء ، حينما
اعتدلت (منى) فجأة ، وارتسمت على وجهها لمحة انتصار
وهي تصوب إليهم مسدسًا ، هو نفسه الذى كان (أدهم)
يحتفظ به داخل غلاف من النايلون في حزامه ..

نهضت (منى) في بطاء وهي تصوب إليهم مسدسها ،
وقالت في لهجة ساخرة ، اكتسبتها من طول عملها مع (أدهم)
صبرى) :

— لقد ظننت أننى مصابة بانحيار عصى ، أليس كذلك ؟
رفع البحارة الخمسة وقبطانهم أذرعتهم فوق رؤوسهم فى
حق ، ولم يستطع أحدهم أن يجر جواباً ، فاستطردت هى فى
سخرية :

— الذين ينتمون إلى المخابرات المصرية لا يفقدون أعصابهم
بهذه السهولة أيها الأوغاد .

احتقنت الوجوه غضباً ، على حين تابعت (منى) موجهة
حديثها إلى القبطان :

— كم رجلاً يعملون هنا ؟

مطأ القبطان شففيه دون أن ينطق ، فزوت (منى) ما بين
حاجبها ، وقالت فى حدة :

— كم رجلاً أيها القبطان ؟

صاح القبطان فجأة :

— لا أحد .

وفى نفس اللحظة انقض بحار ضخمة على (منى) ، وركل
مسدسها بقوة ، فأطاح به بعيداً ، وحاول الثأى لكمها ،
ولكنها تفادت لكمته ، ودفعت أصابعها فى عنقه ، فتأوه الرجل
وهو يمسك مكان الإصابة براحتيه ، ولكن من الصعب على

(منى) وحدها أن تغلب على ستة رجال ، وسرعان ما وجدت
نفسها فى قبضة أحدهم ، وهى تحاول المقاومة فى شراسة ، إلا
أن جسدها الرقيق لم يكن نذا لأجسادهم الضخمة ، وفى قمة
يأسها وجدت نفسها تنفجر بالبكاء ، مما أثار ضحك البحارة
وقبطانهم ، الذى قال فى شماعة :

— إننى أفضل الانتحار على هزيمتى على يد امرأة .

ثم استدار إلى رجاله صائحاً :

— احملوهما إلى حجرة الطوربيدات يا رجال .

سالت دموع (منى) غزيرة ، وهى ترى البحارة يفرغون
طوربيدين من عبوتهما ، استعداداً لوضعها فى أحدهما ، ووضع
(أدهم) فى الثانى ، وإطلاقهما نحو الشاطئ ..

لم يكن بكائهما خوفاً من الموت ..

ولم يكن حزناً على الحياة ..

ولكن قلبها كان ينفطر ألماً على تلك النهاية التى تنتظر
(رجل المستحيل) ...

ذلك العملاق الذى جاب بلاد الدنيا ، وحطم عمالقة
التجسس ، وإمبراطوريات الجريمة ...

هذا البطل الذى ندر أن تنجب البشرية مثله عبر الأجيال ..
كان بكاؤها من أجله ...
من أجل الرجل الذى يحتل مكان الصدارة وسط عمالقة
المخابرات ..

والذى يحتل المركز الأول فى قلبها .
كانت تبكى من أجله .. من أجل (أدهم صبرى) ..
وفى لهجة أمرة شامة ، قال قبطان الغواصة :
— هيا يا رجال .. ضعوا الصيد فى قبره الخاص .
امتدت أيدي البحارة نحو (أدهم) ، ولم يكذ أولهم يلمسه
حتى شهقت (منى) فى لوعة ، ومع آخر أصداء شهقتها
اندفعت قبضة (أدهم) فحاة كالقنبلة ، تحطم فك أول
البحارة بصوت مسموع ، كان له رنين الموسيقى فى قلب
(منى) .

انفجر الطوربيد البشرى ، ولكنه لم ينفجر على شاطئ
مصر ، بل تفجر فى وجوه البحارة ، وبطونهم ، وأعناقهم ...
قفز (أدهم) واقفا فجأة بينهم ، وأصابته المفاجأة بذعر
لا مثيل له ، ولم يشأ هو أن يتركهم لذعرهم وتوترهم ، بل فضل



سالت دموع (منى) غزيرة ، وهى ترى البحارة يفرغون طوربيدين
من عبوتهما ، استعدادا لوضعهما فى أحدهما ، ووضع (أدهم) فى الثانى ..

— بما جبل عليه من حب للخير — أن يريحهم منه ، واندفعت قبضتاه ، وقدماه تنفلا ما يأمرها به عقله المتألق ..

تحطم فك البحار الأول ، وتهشم أنف الثالى ، وتفجرت معدة الثالث ، وانكسر عنق الرابع ، وشج رأس الخامس فى الثوالى الخمس الأولى من القتال ، ومع بداية الثانية السادسة قبض (أدهم) على سترة القبطان ، وجذبه إليه فى قوة ، حتى أصبح وجهاهما على قيد سنتيمترات من بعضهما البعض ، وقال فى سخرية ، وتهكم :

— هل أدهشتك المفاجأة أيها الوغد ؟

شحب وجه القبطان ، وعجز لسانه عن النطق ، على حين هتفت (منى) فى سعادة لا مثيل لها :

— (أدهم) !! حمدا لله .. حمدا لله .

ابتسم (أدهم) ابتسامة عذبة حانية وهو يقول :

— شكرا لك يا عزيزى ، لقد أيقظتنى شهقتك الأخيرة .

تطلع إليه القبطان فى ذهول ، وسالت دموع الفرح من

عينى (منى) وهى تسأله :

— هل فعلت ذلك حقاً ؟

وقبل أن يجيبها هتف القبطان :

— هذا مستحيل ، لا يمكنك أن تكون قد استيقظت تَوّاً ، إن من يستعيد وعيه يحتاج إلى بعض الوقت ، قبل أن يمكنه السيطرة على حركاته المنعكسة .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

— ليس عندما تدفع شهقة من فم أحب مخلوق إليك ، وتعبّر أذنيك إلى قلبك ، فتوقظك متأهباً للدفاع عنه ، مهما كان الثمن .

احمر وجه (منى) وهى تهمس فى خجل :

— (أدهم) .

حوّل (أدهم) عينه عنها ، واتّجه إلى القبطان ، قائلاً فى برود :

بـ ما رأيك أيها الوغد ؟ إننى أريد استعارة غواصتك .

هتفت (منى) :

— لا أحد يعلم بوجودنا هنا سوى ثلاثة من البحارة فى حجرة الغوص ، أما الباقون فقد حطمت أعناقهم أنت الآن ، فقد كان هذا الوغد متعجباً للقضاء علينا ، حتى أنه لم يعلن وجودنا بعد .

قال القبطان في حلق :

— حتى مع عدم معرفة الباقي بوجودكما ، لن يمكنكما الاستيلاء على غواصة كاملة بمفردكما ، هذا يحتاج على الأقل إلى إجادة فن الغوص .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وقال وعيناه تتألقان مكرًا :

— هذا صحيح .. إن قيادة غواصة حديثة كهذه يحتاج إلى مهارة وخبرة طويلتين ، كما أن الاستيلاء عليها بالقوة أمر يكاد يكون مستحيلًا .

ابتسم القبطان في شماته ، وقال :

— هل رأيت أنك لن تنجح قط ؟

ابتسم (أدهم) في سخرية ، والنقط بوق الاتصال الداخلى في هدوء ، ثم تكلم ، ومع أول كلمة خرجت من فمه اتسعت عينا القبطان ، ذهولًا ، وتدلّت فكه السفلى لتمنحه مظهرًا أقرب إلى البلاهة ، فقد خرج صوت القبطان نفسه من بين شفّتي (أدهم) ، في براعة فائقة وهو يقول :

— أفرغوا خزانات المياه في القطاعين (ثلاثة) و (خمسة) ، زاوية الميل خمس عشرة درجة ، الصعود على مرحلتين إلى سطح الماء .

أنهى (أدهم) أوامره ، والتفت بعينين عابثتين ماكرتين إلى القبطان ، الذى حذق في وجهه ذهولًا ، ثم هتف :

— ماذا تفعل بحق الشيطان ؟ إننا داخل المياه الإقليمية المصرية ، ولو أننا صعدنا إلى السطح فسيـ

وبتر عبارته فجأة ، وتعلقت عيناه المدعورتان بابتسامة (أدهم) الساخرة ، وانتابه يأس عنيف ، فقد كان ما يمشاه هو نفسه ما ينشده (أدهم) .

١١ — إلى مصر .. مع تحياتي ..

جلس العقيد (يسرى حسن) يحتسى قدحًا من الشاي في (ميس الضباط) ، داخل الميناء الحرقى برأس التين في (الإسكندرية) ، ولم يكده يضع قدح الشاي الفارغ فوق المنضدة ، حتى دوى نداء عبر مكبرات الصوت يقول :

— العقيد (يسرى حسن) مهندس أول الغواصة (ف — ١١٠) ، يتوجه فورًا إلى غواصته ، الأمر عاجل للغاية .

قبل أن يتكرر النداء ، كان العقيد مهندس (يسرى حسن) قد قفز من مقعده ، وانطلق في خطوات واسعة إلى رصيف الميناء ، حيث تقبع الغواصة الضخمة التي يتولى الإشراف على محركاتها ، ولم يكده يصعد إلى سطحها بعينه المتسائلتين ، حتى بادره قبطانها ، قائلاً :

— لقد تلقينا أمرًا عاجلاً بالإبحار ، فقد ظهرت غواصة أجنبية داخل مياهنا الإقليمية ، ومن العجيب أنها تبخر فوق السطح في تحدٍ مثير للدهشة .

سأله المهندس (يسرى) :

— إلى أى دولة تنتمى ؟

لم يكده القبطان يذكر اسم الدولة التي تنتمى إليها الغواصة ، حتى اتسعت عينا المهندس (يسرى) دهشة ، وهتف :

— هل خرقوا اتفاق السلام بيننا ؟

أجابه القبطان على عجل :

— سنتبين ذلك حينما نلقى بها أيتها العقيد ، ولقد تلقينا أوامر صارمة تقتضى بأسرها ، أو نسفها بطورياتنا في حالة المقاومة ، وبلا رحمة .

اقتربت الغواصة المصرية من تلك الأجنبية ، وتقاتلت كلتا هما على بعد ثلاثة أميال بحرية ، داخل المياه الإقليمية المصرية ، وكانت الغواصة المصرية هي صاحبة النداء الأول ، حينما قالت عبر أجهزة اللاسلكى :

— حدد هوبك وهدفك ، أنت في مياه مصرية ، سنمهلك دقيقتين فقط للاستسلام ، أو نطلق طورياتنا .

لم يكده ينتهى النداء حتى ارتفع هدير ثلاث طائرات حربية مصرية فوق الغواصة الأجنبية ، وانحنى العقيد مهندس (يسرى

أجابه في بساطة :

— سنطلق طوربيداتنا فوراً ، دون مناقشة .



جاء رد إدارة المخابرات العامة مدهشاً لطاقم الغواصة المصرية ، فقد كانت صيغته توحي بأن (أدهم صبرى) هذا هو أهم رجال المخابرات على الإطلاق ، حتى أن طاقم الغواصة المصرية أرسل نداءً يرحب فيه بهذا الأخير . وتمت قيادة الغواصة الأجنبية إلى رأس التين ، حيث تم أسر طاقمها ، والاستيلاء عليها ، واصطحب (أدهم) و (منى) إلى غرفة قائد القوات البحرية ، الذى أسرع إلى ميناء (رأس التين) فور سماعه النبأ ، وهناك أخذ قائد القوات البحرية يتفرس في ملامح (أدهم) و (منى) بعض الوقت في دهشة ، ثم سألهما :

حسن) يصفى إلى جهاز اللاسلكى في انتباه ، منتظراً إجابة الغواصة المتسللة ، ولم يطل الوقت ، إذ جاء الرد واضحاً ، ولكنه مثير للدهشة ، فقد تحدث صاحب الرد باللغة العربية وبلغة مصرية خالصة ، تغلب عليها رنة ساخرة وهو يقول :

— هنا العقيد (أدهم صبرى) من المخابرات العامة المصرية ، وطاقم هذه الغواصة أسراى ، وأطلب المعاونة لدخول الميناء بسلام .

تبادل طاقم الغواصة المصرية النظرات في دهشة ، وغمغم أحدهم :

— إنها خدعة ولا شك ، فالمخابرات العامة تذرنا دائماً إذا ما تداخلت خططها مع خطة سير أسطولنا .

قال العقيد (يسرى حسن) فى تعقل :

— دعونا نسأل المخابرات العامة أولاً عن (أدهم صبرى) هذا .

أوماً القبطان برأسه إيجاباً ، وقال :

— هذا منطقى يا (يسرى) دعونا نفعل .

سأله ضابط اللاسلكى فى هدوء :

— وماذا لو أنهم لا يعرفونه ؟

— هل تعنيان أنكما قد أسرتما الغواصة وخذكما ، دون أى معاونة ؟

ابتسمت (منى) فى فخر وهى تقول :

— هذا ما حدث تمامًا يا سيدى .

تطلع قائد البحرية إلى (أدهم) ، وكأنه ينتظر منه

الجواب ، فقال (أدهم) فى هدوء :

— لقد ساعدنا حسن الحظ على

قاطعته (منى) ، قائلة :

— حسن الحظ ؟ لا تصدقه يا سيدى الفريق ، لقد قاتل

كوحش كاسر حتى تمكنا من ...

قاطعتها قائد البحرية المصرية هذه المرة ، قائلاً :

— مهلاً أيتها النقيب ، لقد أجريت قبيل حضورى اتصالاً هاتفياً ،

مع مدير المخابرات المصرية ، وعلمت من هو (أدهم صبرى) ، ولكن

الذى يثير دهشتى ، بل دهشتنا جميعاً هو لماذا أسرتما الغواصة الأجنبية ؟

تأملت عينا (أدهم) وهوىقول :

— على سبيل الهدية يا سيدى .

ضاقت عينا قائد البحرية المصرية ، وهو يردد فى دهشة :

— الهدية ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

— نعم يا سيدى .. هدية إلى مصر ، مع تحياتى .

١٢ — الختام ..

تابع (قدرى) البدين الحركة الدائبة القلقة ، غير المألوفة فى

أروقة المخابرات العامة ، حيث يسود الهدوء عادةً ، ثم لم يلبث أن

سئم التساؤل ، فأوقف أحد الرجال وسأله فى حدة ، جاءت

دون أن يتعمدها :

— ماذا يحدث هنا بحق السماء ؟

أجابه الرجل فى توتر واضح :

— السيد رئيس الوزراء هنا ، وكذا سيادة وزير الدفاع ،

إنهم يجتمعون منذ نصف ساعة فى مكتب المدير .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة ، وهتف :

— يا للهول !! إن أحدهما لم يبطأ مكاتب الإدارة منذ ما يقرب

من عشر سنوات ، كيف اجتماعا هنا هكذا ؟

أجابه الرجل وهو يحاول التملص من أسئلة (قدرى)

الحساسة :

— يقولون إنهما قد أتيا بشأن العقيد (أدهم صبرى) .

ارتسبت إبتسامة واسعة على شفتي (قدرى) ، غطت وجهه البدين المكتظ وهو يقول :

— مرحى يا (أدهم) !! لا ريب أن هذا الاجتماع يهدف إلى ترقيته إلى رتبة (العميد) على الأقل .

تطلع الرجل إلى (قدرى) بهمين قلقين وهو يقول :

— ألا تعلم سبب حضورهما حقًا ؟

أجابه (قدرى) فى مرح :

— ومن أين لى أن أعرف أيها المخبول ؟ .. هل أخبروك أننى أملك كرة سحرية لقراءة الغيب .

صمت الرجل لحظة ، وظهر التوتر والتردد فى ملامحه ، قبل أن يقول :

— يقول الجميع إنهما قد حضرا محاكمة العقيد (أدهم) ، وربما يؤدى الأمر إلى فصله .

سقطت فك (قدرى) السفلى ، واتسعت عيناه ذهولًا ، ثم لم تلبث ملامحه أن اكتست بالغضب وهو يهتف :

— محاكمته ؟ .. فصله ؟ .. ماذا أصاب الجميع ؟

وقف (أدهم صبرى) هادئًا ، جامد الملامح أمام لجنة المحاكمة المشكلة من رئيس الوزراء ، ووزير الدفاع ، ومدير المخابرات ، على حين ظهر التوتر والقلق فى وجه (منى) التى تقف إلى جواره ، وفى لحظة انتقالنا إلى مكتب مدير المخابرات كان رئيس الوزراء يقول فى توتر :

— لقد أوقعنا فى مأزق دبلوماسى خطير أيها العقيد ، لقد كانت مهمتك تنحصر فى تحطيم إمبراطورية المخدرات ، التى يتزعمها (عصمت فوزى) و ...

قاطعه (أدهم) ، قائلاً فى هدوء :

— وتعقب مصادره وتحطيمها عن آخرها يا سيدى .

صاح رئيس الوزراء فى غضب :

— ولكن مهمتك لم تكن تتضمن أسر غواصة تابعة لدولة أخرى ، وطاقمها بالكامل .

قالت (منى) فى حدة :

— إننى أعد هذه بطولة تستحق المكافأة يا سيدى .

حدجها (أدهم) بنظرة صارمة ، وكأنه ينبهها إلى قدرته على الدفاع عن نفسه ، فأطبقت شفتيها فى ضيق لم يفارق ملامحها ، على حين قال (أدهم) دون أن يزايله هدوءه :

— لقد كانت هذه الغواصة تحمل شحنة من المخدرات تبلغ قيمتها عشرة ملايين جنيه يا سيدى ، ومثل هذه الشحنة كفيفة بتحطيم نصف شبابنا على الأقل .

لوح رئيس الوزراء بكفه صائحاً :

— لا يمكنك معالجة كل الأمور بعضلاتك أيها العقيد ، ثم إننا لم نعد فى حالة حرب مع هذه الدولة .
أجابه (أدهم) :

— بل هى حرب من نوع جديد يا سيدى ، حرب تهدف إلى تحطيم الوطن من الداخل .

زفر وزير الدفاع فى ضيق ، وقال :

— اسمع يا (أدهم) ، لقد كنت رئيساً لك فيما مضى فى المخابرات العامة ، وأنا أعلم مقدار ما تتمتع به من عناد ، وإصرار ، وحب لهذا الوطن ، ولكن أسلوبك هذا لم يعد يتفق مع روح العصر ، فالعلاقات بين الدول أصبحت شديدة التعقيد ، إلى الحد الذى يستلزم وجود خبراء فى مجال التعامل بين الدول ، سواء فى زمن الحرب ، أو السلم ، ومن الخطورة أن نخالف ما يراه هؤلاء الخبراء ، فقد يقود أى تصرف غير مدروس إلى حرب لا يعلم إلا الله — سبحانه وتعالى — ما قد تنتهى إليه .

مط (أدهم) شفتيه دون أن ينطق ، وإن نمت ملامحه على عدم الاقتناع ، مما دعا مدير المخابرات إلى أن يقول :

— لا فائدة .. إنه لن يعترف بخطئه أبداً .

قال (أدهم) فى هدوء :

— الاعتراف بالخطأ هو قمة الشجاعة يا سيدى ، وأنا لا أتردد لحظة فى الاعتراف بأى خطأ ارتكبه ، بل إننى أؤكد الإصرار على الخطأ نوعاً من حماقة والجبن ، وأنا أنأى بنفسى عن الصفتين ، ولكن الاعتراف بالخطأ يستلزم أولاً الشعور بهذا الخطأ ، وهذا ما لم أشعر به بعد .

قال رئيس الوزراء فى حدة :

— إذن فأنت تعتقد أن ما فعلته صواب ؟

بدت نظرة (أدهم) صارمة وهو يقول :

— بلا شك يا سيدى ، لقد تنازلت تلك الدولة عن كل المبادئ والقيم ، وهى تنقل شحنة من المخدرات بغواصتها إلى هنا ، بل وانحدرت إلى حد أن تتحول إلى تاجر مخدرات دولى ، مجرد ضمان عدم قدرتنا على محاربتها مستقبلاً ، ومثل هذه الدولة تحتاج إلى درس قاس حتى لا تكرر فعلتها هذه ، ولم يكن الدرس فى رأى سوى الاستيلاء على غواصتها ، كما نفعل عادة بكل أداة

نستخدم لتهديب هذه السموم إلى مصر ، لقد طبقوا قانونهم ،
وطبقنا قانوننا ، وهذا هو الجزء العادل .

ساد الصمت لحظة ، تبادل فيها الجميع نظرات متسائلة ،
ثم لوح رئيس الوزراء بذراعه ، وقال في صرامة :

— لقد انتهى دفاعك أيها العقيد ، وسنتخذ القرار
بشأنك ، فإما أن تواصل عملك في المخابرات ، بكل ماتبعه من
تحطيم للقوانين والأعراف الدولية ، أو تحال إلى التقاعد ، وهذا
ما أفضله .

انطلق (أدهم) بسيارته صامتًا ، هادئًا طوال الطريق إلى
منزله ، إلى أن قالت (منى) في مرح :

— لا ريب أنك تكاد تطير فرحًا بالقرار الذى انتهت إليه
المحاكمة ، برغم البرود الذى ترسمه على ملامحك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

— لم يكن قرار اللجنة ليقلقنى يا عزيزتى (منى) ، فأنا لن
أتوقف يومًا عن محاربة كل من يسىء إلى مصر ، كل ما فى الأمر هو
أننى أعمل الآن بصورة شرعية .

رفعت حاجبيها دهشة ، وقالت :

— هل تعنى أنك كنت ستعمل بصورة غير شرعية ، فى حال
موافقة اللجنة على فصلك ؟

ابتسم وهو يرمى لها برأسه ، قائلاً :

— كنت سأفعل كل شىء فى سبيل مصر ، حتى ولو دفعت
حياتى ثمنا له .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم قالت :

— لقد كان رئيس الوزراء غاضبًا من رفض وزير الدفاع ،
ومدير المخابرات معاقبتك .

ابتسم ، قائلاً :

— إننا نعيش فى بلد ديمقراطى يا عزيزتى ، والرأى دائماً
للأغلبية .

عاد الصمت يسود بينهما لحظة ، ثم سأله (منى) فى مرح :

— كيف تفعل كل هذا ؟ .. أعنى كيف تنجح فى اكتساب
كل هذه القدرات ؟

سرح (أدهم) ببصره لحظة ، ولاحث على شفثيه ابتسامة
حالية ، وكأنه يعيش ذكرى بعيدة ، ثم أجابها فى هدوء :

— لقد كان والدى واحداً من رجال المخابرات ، مع بداية
إنشاء هذا الجهاز فى مصر يا (منى) ، ولقد كان — رحمه الله —

يأمل أن يكون لي شأن في هذا المجال ؛ لذا فقد دأب على إعدادى لذلك ، وأعتقد أنه نجح فيما كان يسعى إليه .
هتفت (منى) وهى تتأمل له فى إعجاب :

— نجح ١٢.. بل إنه — رحمه الله — تفوق تمامًا ، ولو أنه بقى على قيد الحياة ، لसार فى أرجاء الأرض شاح الرأس ، فخورًا بأنه أنجب لمصر (رجل المستحيل) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٦١٩

باسم

www.dvd4arab.com